الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة باتنة 01

كلية اللغة والأدب العربي والفنون

قسم اللغة والأدب العربي

دروس في مادة البلاغة العربية

موجهة لطلبة السنة الأولى جذع مشترك (ل.م.د)

إعداد:

د.صالح مرحباوي

جامعة باتنة 1
المجلس العلمي للكلية
كلية اللغة والأدب العربي والفنون
رئيس المجلس العلمي للكلية
ا.د/ معمر حجيج

السنة الجامعية: 2021-2022

مقدمة

علم البلاغة هو أحد علوم اللغة العربية وله من الأهمية ما لا يخفى على كل متأمل، فهي العلم الذي يمكن من الفهم والإدراك والاقتناع فالبلاغة هي السبيل إلى حسن الفهم والتمكن من المسموع والمقروء ، ومعرفة مواضع الحجة والدليل في الكلام، كما أنها تمكن المتكلم من التعبير السليم بل والقوي عما يشعر به أو يفكر فيه، لما تقدمه له من أدوات تعبيرية وأساليب فنية، وقد امتدحت البلاغة كثيرا، قال الله تعالى: ((وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا))، ويقول الجاحظ " ... فأما أنا فلم أرى قط طريقة أمثل في البلاغة من الكتَّاب، فإنهم قد التمسوا من الألفاظ ما لم يكن متوعرا وحشيا، ولا ساقطا سوقيا..." ويقول أبو هلال العسكري: " ثم إن البلاغة تغنيك عن المزلة والبهتان، وتغنيك في السقوط في المنهي منه على المعني، وتوسع الإدراك، فتضع يدك على المعنى المقصود من هذا والمطلوب من ذاك ... وقد علمنا أن الانسان إدا أغفل علم البلاغة، وأخل بمعرفة الفصاحة، لم يقع علمه من اعجاز القرآن من جهة ما خصه الله به من حسن التأليف وبراعة التركيب" .

تناولت في هذه المحاضرات مجموعة من المباحث البلاغية التي هي أصلا دروس موجهة لطلبة السنة الأولى جذع مشترك، نظام (ل.م.د) ومقررة عليهم، وهذه المباحث منها ما يتعلق بعلم المعاني كالخبر والإنشاء، والتقديم والتأخير والفصل والوصل، ومنها ما يتعلق بعلم البيان كالمجاز والتشبيه والاستعارة والكناية، ومنها ما يتعلق بعلم البديع كالطباق والمقابلة والجناس والسجع، وقبل ذلك أنجزت محاضرتين، الأولى في مفهوم البلاغة ونشاتها وتطورها وفروعها، والثانية في دور المتكلمين في تأصيل علم البلاغة، إضافة إلى ثلاث محاضرات في الأخير تتعلق بعلاقة علم البلاغة بعلوم أخرى، وهي: البلاغة والأسلوبية، والبلاغة والشعرية، وأيضا بلاغة الخطاب النثري.

وقد اعتمدت في مادة هذه الدروس على أهم كتب البلاغة التعليمية منها على وجه الخصوص مثل جواهر البلاغة لأحمد الهاشمي، والبلاغة فنونها وأفنانها لفضل حسن عباس كما رجعت إلى أبرز

مراجع البلاغة والأدب مثل البيان والتبيان للجاحظ ومفتاح العلوم للسكاكي والتلخيص للقزويني، ودلائل الإعجاز وأسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني،

وحرصت في أخذ المادة البلاغية من مراجع متعددة حتى تكون المعارف متنوعة وخصبة وتكون كذلك الفائدة محققة.

وانتهجت أسلوبيا تعليميا تربويا أساسه التبسيط والتوضيح من خلال تقديم المعارف البلاغية وإردافها بالأمثلة التوضيحية مع الشرح والتفصيل كلما اقتضى الأمر ذلك، وقد حرصت أن تكون الشواهد فصيحة بليغة حتى ينشأ الطلاب على هذا الضرب من الكلام الفصيح البليغ فتقوى ملكاتهم وتنضج لغتهم، وحتى أدفع الملل والسأم وأبعث التشويق والإثارة العلمية.....

أما عن محتوى المادة الذي أعددت فيه هذه الدروس فهو كما يلي:

1/ علم البلاغة (مفهومه ونشأته وتطوره وفروعه) آراء أهل المشرق والمغرب

2/ أثر الفرق الكلامية في تأصيل البلاغة (المجاز عند المعتزلة نموذجا)

3/ الأسلوب الخبري و أضربه

4/ الأسلوب الإنشائي و أنواعه

5/ التقديم و التأخير ، الفصل والوصل

6/ الحقيقة والمجاز، أنواع المجاز

7/ التشبيه وأنواعه

8/ الاستعارة، الكناية

9/ المطابقة، المقابلة

10/ الجناس

11/ السجع

12/ البلاغة والأسلوبية

13/ البلاغة والشعرية- 14/ بلاغة الخطاب

الدرس الأول: علم البلاغة (مفهومه ونشأته وتطوره وفروعه)

تمهيد:

علم البلاغة من علوم اللغة العربية الهامة التي نشأت في مطلع الحضارة العربية الإسلامية التي بزغ فجرها بعد مجيئ الإسلام وانتشاره في ربوع كثيرة من المعمورة ، وقد مرت بمراحل عديدة قبل أن تأخذ صورتها كعلم قائم بذاته له أصوله وفروعه ومصطلحاته ومسائله، لكن قبل الخوض في ذلك علينا أن نعرف بهذا العلم تعريفا يكشف عن حقيقته و يحيط عن وظيفته وغايته.

البلاغة لغة:

هي من مادة (بلغ) وتعني الوصول و الانتهاء، يقال بلغ الشيء يبلغ بلوغا وبلاغا وصل وانتهى مثلا بلغ الركب المدينة أي وصل إليها، وبلغ الأمر غايته أي وصل إلى منتهاه.

و يظهر أن البلاغة مأخوذة من هذا المعنى لأن الكلام البليغ يصل إلى السامع فيهمه و يتأثر به ولذلك يقال كما جاء في لسان العرب " رجل بليغ وبَلغ وبِلغ حسن الكلم فصيحه يبلغ بعبارة لسانه كنه ما في قلبه، والجمع بلغاء "[1]

وورد في القاموس " بلغ الرجل بلاغة إذا كان يبلغ بعبارته كنه مراده من إيجاز بلا إخلال أو إطالة بلا إملال "

فالبلاغة – بحسب المعنى اللغوي –سميت كذلك لأنها تمكن المعنى من الوصول إلى ذهن ووجدان المتلقي

البلاغة اصطلاحا:

للبلاغة اصطلاحا عديد التعريفات، وقد أورد الجاحظ عددا منها؛ فقال: " قيل للفارسي ما البلاغة؟ قال: معرفة الفصل من الوصل. وقيل لليوناني ما البلاغة؟ قال: تصحيح الأقسام واختيار الكلام. وقيل للرومي ما البلاغة؟ قال: حسن الاقتضاب عند البداهة، والغزارة يوم الإطالة. وقيل للهندي ما البلاغة؟ قال: وضوح الدلالة ، و انتهاز الفرصة، وحسن الإشارة..."[2]

ويعرفها أبو هلال العسكري بأنها: "كل ما تبلغ به المعنى قلب السامع فتمكنه في نفسه لتمكنه في نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن"

ويعرفها السكاكي:" هي بلوغ المتكلم في تأدية المعاني حدا له اختصاص بتوفية خواص التراكيب حقها وإيراد أنواع التشابه والمجاز والكناية على وجهها "

ويعرفها القزويني: "البلاغة في الكلام مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته.. فالبلاغة راجعة إلى اللفظ باعتبار إفادته المعنى بالتركيب"[3]

فالبلاغة بحسب هذا التعريف تقوم على عناصر هي:

اللفظ والمعنى ومراعاة مقتضى حال المخاطب من حيث اختيار اللفظ من جهة وحسن التأليف ودقته؛ فربما كانت الألفاظ جيدة لكن طريقة تأليفها سيئة، وربما كانت المعاني سامية والألفاظ فصيحة إلا أن حال المخاطب لم تراع، وحال المخاطب هي ما يكون عليه في نفسيته ومزاجه ومستواه الثقافي والفكري ؛ فهذا الجانب شرط في بلاغة الكلام

والبلاغة صفة للكلام وللمتكلم ؛ فالكلام يكون بليغا إذا استوفى الشروط المشار إليها آنفا، أما بلاغة المتكلم فهي" ملكة في النفس يقتدر بها صاحبها على تأليف كلام بليغ مطابق لمقتضى الحال مع فصاحته في أي معنى قصده"[4]

يرتبط مصطلح البلاغة بمصطلح آخر وهو الفصاحة

الفصاحة لغة: تأتي بمعنى الظهور والبيان، يقال أفصح الصبح إذا أضاء، وفصح أيضا، و أفصح الأعجمي إذا أبان بعد أن لم يكن يفصح ويبين

أما اصطلاحا فهي عبارة المفردات البينات الظاهرة المتبادرة إلى الفهم و المألوفة في الاستعمال الأدبي وتقع الفصاحة وصفا للكلمة والكلام والمتكلم

أما فصاحة الكلمة فخلوها من تنافر الحروف وغرابة الاستعمال وكراهة وثقل في السمع ومخالفة للقياس والقواعد اللغوي.

أما فصاحة الكلام فخلوه من تنافر الكلمات مجتمعة، ومن ضعف التأليف، و من التعقيد اللفظي والمعنوي؛ وبعبارة أخرى ينبغي أن يكون واضح المعنى سهل الألفاظ حسن التأليف

أما فصاحة المتكلم فهي عبارة عن ملكة يقتدر بها صاحبها على التعبير عن المقصود بكلام فصيح في أي غرض كان[5]

السؤال ما علاقة الفصاحة بالبلاغة وأين يلتقيان وأين يفترقان؟

البلاغة والفصاحة مدارهما كلاهما الكلام إلا أن الفصاحة تقع وصفا للكلمة والكلام والمتكلم، أما البلاغة فلا تكون وصفا إلا للكلام والمتكلم، فيقال كلمة فصيحة ولا يقال كلمة بليغة، لأن البلاغة لا تكون في المفردات بل في التركيب كما أن بينهما أي الفصاحة والبلاغة عموم وخصوص ، فالبلاغة أخص من الفصاحة بمعنى أن كل كلام بليغ هو فصيح بالضرورة وليس كل كلام فصيح بليغ لأن الفصاحة هي شرط في البلاغة، وإذا فقدت الفصاحة فقدت البلاغة ،و إذا فقدت البلاغة قد تفقد الفصاحة وقد لا تفقد، أما الفصاحة في الكلام فلا يشترط فيها أن يكون الكلام بليغا

نشأة البلاغة وتطورها:

من القضايا الثابتة في الحياة العربية الجاهلية أن العرب قد عرفوا بالفصاحة والبيان والبلاغة وفطروا على الاقتدار في فنون القول شعرا ونثرا خطابة وحكما وأمثالا ، وقلما ضاهتهم أمة في ذلك ، ولا أدل على ذلك من نزول القرآن الكريم بلغتهم وفوق ذلك تحديه لهم ، وقد سجل كثير من الأدباء والنقاد هذه الخاصية في العرب وأوردوا كثيرا من النماذج الأدبية التي تثبت بحق تفوقهم في فنون القول وتميزهم بالبلاغة التي قرر كثير من الدارسين أنها ميزة العربي ورأسماله – إن صح القول – ولم يحتفلوا بشيء احتفالهم بهذه الملكات القولية ، ولم يعيبوا شيئا كعيبهم العجز والعي في القول ، وقد ذكر الجاحظ هذا المعنى واستفاض فيه في كتابيه البيان والتبيين والحيوان.

أما أحكامهم وتقديرهم للكلام البليغ فقد كان ينبع من فطرتهم وحسهم الفني والنقدي، ولم تكن لهم قواعد مقررة وواضحة في هذا الشأن.

البلاغة في العصرين الجاهلي والإسلامي:

كما وسبقت الإشارة فإن العرب أوتوا قوة كبيرة في إجادة القول كما أوتوا قدرة وملكة في معرفة الجيد و الردئ من الكلام شعر كان أو نثرا ، ولدينا من الملاحظات والإشارات التي وصلتنا عن أدباء العصرين الجاهلي والإسلامي وعن رجالات الأدب عامة ما يدل على هذه الملكة ، من ذلك تفضيل النابغة الذبياني للأعشى حسان بن ثابت فغضب لذلك وقال له أنا والله أشعر منك ومنه ، حيث أقول:

لنا الجفناتُ الغرُّ يَلْمَعْنَ بالضحى و أَسيافُنا يَقطرُنَ مِن نجدةٍ دَمَا

وَلَدْنَا بَنِي العنقاءَ و ابْنَيْ مُحَرِّقٍ فَأَكْرِمْ بِنَا خالا و أكرِمْ بنا عَما[6]

فقال له النابغة إنك شاعر لولا أنك أقللت عدد جفانك وسيوفك ولو قلت يبرقن لكان أبلغ في المديح لأن الضيف بالليل أكثر طروقا ، وقلت يقطرن من نجدة دما فدللت على قلة القتل، ولو قلت يجرين لكان أكثر لانصباب الدم، وفخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك، فقام حسان منكسرا.

ومثل هذا كثير وهو يدل ذوق وحس فني يدرك مظاهر الجودة والحسن في الكلام و أسباب الضعف فيه أيضا.

ويذكر مؤرخو الادب ظواهر أخرى كثيرة تدل على هذا الذوق الفني ، من ذلك توجه بعض الشعراء إلى تجويد الشعر و تنقيحه قبل إلقائه على الجمهور من هؤلاء الشعراء زهير بن أبي سلمى والحطيئة، وهذا يدل على إدراك وجوب انتقاء الألفاظ الفصيحة و الأساليب البليغة المؤثرة ، وتنقية القصائد مما شوبها من سقطات.

وفي **عصر صدر الإسلام** ازداد الاهتمام بالجوانب الفنية والأدبية وذلك بفضل القرآن الكريم الذي كان نموذجا رفيعا في الفصاحة والبلاغة وهو أساس قد نزل متحديا في ما كان العرب يعدون أنفسهم فرسانه الذين لا يضاهون ، وكذلك الشأن بالنسبة لحديث النبي – صلى الله عليه وسلم-

الذي قال في وصف فصاحته وبلاغته" أنا أفصح العرب " وقال أيضا "... وأوتيت جوامع الكلم " وقد شهد فصحاء العرب و بلغاؤهم بهذا الأمر على غرورهم وتعنتهم.

ويروى عن الخلفاء الراشدين أيضا اهتمامهم بخطبهم وكلامهم بصورة عامة وتوجيهم للناس من أجل الارتقاء بأساليبهم، وكانت لهم ملاحظات فطرية بلاغية وفنية دقيقة شكلت مع تك المأثورة على الجاهليين أساسا للبلاغة العربية وعلوم ها" كانوا يقفون عند اختيار الألفاظ والمعاني والصور، وكانوا يسوقون أحيانا ملاحظات لا ريب أنها أصل الملاحظات البيانية في بلاغتنا العربية، ومن يتصفح أشعارهم (أي العرب في الجاهلية وصد الإسلام) يجدها تزخر بالتشبيهات والاستعارات، وتتناثر فيها من حين إلى حين ألوان من المقابلات والجناسات، مما يدل دلالة واضحة على أنهم كانوا يعنون عناية واسعة بإحسان الكلام والتفنن في معارضه البليغة."[7]

وفي **العصر الأموي** ازداد الاهتمام البلاغي وكثرت الملاحظات التي تصب في هذا الجانب ومن أسباب ذلك تطور الأدب وخاصة فن الخطابة الذي بلغ أوجه بسب تطور الحياة السياسة والاجتماعية فكان لزاما أن يتطور الجانب النقدي الذي يتخذ من الأسس البلاغية منهجا لتقويم الأدب والكلام بصورة عامة، ومن مظاهر الاهتمام البلاغي في هذا العصر ما نجده في هذا الحوار عند معاوية بن أبي سفيان " سأل معاوية صُحارا العبدي ، ما تعدون البلاغة فيكم؟ قال الإيجاز، قال معاوية وما الإيجاز ، قال صحار: أن تجيب فلا تبطىء و تقول فلا تخطئ "[8]

كما وصفت بلاغة خطباء هذا العصر بالجودة مما يدل حقيقة على التطور الفني الذي تحقق في هذا العصر، يقول الشعبي " ما سمعت متكلما على منبر قط تكلم فأحسن إلا أحببت أن يسكت خوفا من أن يسيء إلا زيادا فإنه كلما أكثرَ كان أجود كلاما " ويقول مالك بن دينار في وصف بلاغة الحجاج" ربما سمعت الحجاج يخطب، يذكر ما صنع به أهل العراق وما صنع بهم، فيقع في نفسي أنه يظلمونه وأنه صادق لبيانه وحسن تخلصه بالحجج"[9]

ويذكر الجاحظ أن خطباء الوعظ في هذا العصر قد بلغت خطبهم من الحسن والبيان وفي مقدمتهم الحسن البصري وغيلان الدمشقي وواصل بن عطاء درجة جعلت أدباء العصر العباسي يتحفظون كلام الحسن وغيلان حتى يبلغوا ما يريدون من المهارة البيانية[10]

و في مجال الشعر اشتد التنافس بين الشعراء أيهم يكون أكثر إجادة وأصوب في القول وأبلغ في التعبير، خاصة وأن الخلفاء الأمراء قد فتحوا لهم الأبواب وشجعوهم على ذلك، فكانت الملاحظات البلاغية تترى وتزيد من رصيد البلاغة العربية التي أخذت معالمها تتشكل استنادا إلى كل تلك الملاحظات التي كان في صميم الإبداعي الأدبي.

البلاغة في العصر العباسي :

يمكن أن نقول أن هذا العصر هو بداية التشكل الفعلي للبلاغة العربية ، وذلك بفعل كثرة الملاحظات البلاغية وظهور المؤلفات الأولى التي يمكن تصنيفها ضمن المؤلفات البلاغية المؤسسة، والسبب في ذلك يعود إلى تطور الحياة الأدبية والثقافية والعقلية والتي كان من مظاهرها ظهور وازدهار الكتابة الفنية والعلمية ونشأة كثير من علوم اللغة العربية ، وظهور الجماعات والحركات الأدبية مثل اللغويين والنحاة والرواة الذين عنوا برواية الأشعار وشرحها والتعليق عليها مما أدى إلى ظهور كثير من الأحكام والآراء التي كانت أيضا من اللبنات المهمة في نشأة البلاغة، وكذلك الحركات الدينية والعقلية التي اهتمت بالمناظرة والجدل والاحتجاج أمثال المعتزلة والأشاعرة وغيرهم.

ومن أسباب تطور البحث البلاغي ظهور طائفة الكتاب الذين عنوا بالكتابة النثرية وترقيتها فظهرت الأساليب البديعة والصور الرفيعة، يقول الجاحظ فيهم " أما أنا فلم أر قط أمثل طريقة في البلاغة من الكتاب فإنهم قد التمسوا من الألفاظ ما لم يكن متوعرا وحشيا ولا ساقطا سوقيا "[11]، ومن هؤلاء يحي بن جعفر البرمكي، وابن المقفع الذي يعد صاحب أسلوب مميز ومدرسة في الكتابة الأدبة صارت لاحقا مثالا يحتذى في مجال الكتابة الفنية والتباري في صور البلاغة ، ويعد من الأوائل الذين عرفوا البلاغة بقوله" البلاغة اسم جامع لمعان تجري في كثيرة، فمنها ما يكون في السكوت،

ومنها ما يكون في الاستماع، ومنها ما يكون في الإشارة، ومنها ما يكون في الاحتجاج، ومنها ما يكون جوابا، ومنها ما يكون شعرا، ومنها ما يكون سجعا وخطبا، ومنها ما يكون رسائل، فعامة ما يكون من هذه الأبواب الوحي فيها والإشارة إلى المعنى، و الإيجاز هو البلاغة ..."[12]

ويمكن القول إن البلاغة في ما قبل هذه العصر كانت تتميز بكونها جملة من الملاحظات و الآراء المتناثرة لبلغاء كان يصدرون عن فطرة أدبية رفيعة ، وتبلتها فترة أخرى أكثرا تطورا و أفضل تنظيما وتبويبا حيث وجدنا مجموعة من المؤلفات التي كانت تلامس البلاغة بشيء من الدقة ، وقد كانت في مجملها من تأليف طائفتين ؛ طائفة اللغويين وطائفة المتكلمين

من ذلك نذكر الكنب الآتية:

- معاني القرآن للفراء (ت 207): وقد عني فيه بشرح آيات من القرآن الكريم، وتناول أثناء ذلك مواضيع بلاغية مثل التقديم والتأخير، والإيجاز والإطناب ومعاني الاستفهام، كما أشار إلى بعض الصور البيانية مثل التشبيه والاستعارة
- مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى(ت211): وقد تناول فيه دلالات ومعاني بعض آيات القرآن الكريم ، وتطرق إلى المجاز ولكن ليس كما استقر في الدرس البلاغي بل قصد به ما تعنيه الآية على وجه دقيق ، ومع ذلك فقد أداه ذلك إلى أن الخوض في بعض المسائل مثل التشبيه والاستعارة والتقديم والتأخير والحذف والإضمار والتكرار
- تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة: تطرق فيه لتأويل بعض الأيات القرآنية التي ربما استشكل معناها خاصة على أولئك الذين يطعنون في القرآن فأثبت أن للقرآن بلاغة قد لا يحيط به كثيرون، وقد تعرض لقضايا بلاغية كثيرة منها: الاستعارة والتمثيل والقلب والتقديم والتأخير والإخفاء و الإظهار، والتعريض والإفصاح والكناية....
- البيان والتبيين للجاحظ (ت255) يعد الجاحظ في كتابه هذا وفي غيره من الرواد الأوائل في نشأة علم البلاغة العربية، ويظهر ذلك في آرائه العلمية الدقيقة في بلاغة الكلام وفصاحته، وكذلك في سرده لكثير من أقوال البلغاء وآراء العلماء بشأن البلاغة ومفهومها وشروطها، وقد

تعرض لقضايا كثيرة مبثوثة في تضاعيف كتبه، غير مبوبة ولا مرتبة، ومن ذلك: الإيجاز ومطابقة مقتضى الحال، وفصاحة الألفاظ، وجودة التركيب والبديع وغير ذلك.

وأمثال هذه المؤلفات والتي تعد الجذور الأولى المدونة للبلاغة العربية كثرة منها أيضا: الكامل والمقتضب للمبرد(285 هـ) وقواعد الشعر لثعلب (291 هـ)

ومن خصائص هذه المرحلة:

- عدم تبويب المسائل البلاغية
- عدم وضوح المصطلحات البلاغية
- عدم تميز فروع البلاغة وعلومها
- اختلاط البلاغة بالعلوم الأخرى

ثم تطورت الدراسات البلاغية منها ما كان مرتبطا بإعجاز القرآن ومنها ما ارتبط بالأدب والشعر واللغة ، ود ساهمت طوائف علمية وفكرية كثيرة في هذه الدراسات من متكلمين ولغويين وأدباء ونقاد ، ونذكر أمثلة فقط لأنه من الصعب إحصاء مل من ساهم في تأسيس البلاغة ووضع أصولها

- كتاب البديع لابن المعتز (296هـ): يعد هذا الكتاب من الكاب الأساسية في نشأة البلاغة العربية، ولا تعني تسمية الكتاب بالبديع أنه يتضمن المحسنات البديعية فقط كما استقر عليه الدرس البلاغي فيما بعد ولكن البديع عنده هو مجموعة الصور البلاغية وتشمل: الاستعارة والتشبيه والجناس والطباق، ورد الأعجاز على ما تقدم، والمذهب الكلامي، بالإضافة إلى ما سماه محاسن الكلام، وقد عد منها ثلاثة عشرة نوعا.

- كتاب عيار الشعر لابن طباطبا العلوي (322 هـ)، وقد بحث في مسألة مطابقة الكلام لمقتضى الحال، كما تحدث عن التشبيه وأقسامه.

- كتاب نقد الشعر لقدامة بن جعفر (ت 337): ومن القضايا التي تناولها صفات الشعر الجيد، وهي عنده هي مقاييس البلاغة، كما تحدث عن محاسن الكلام وعد منها ألوانا عديدة.

– وهناك عديد المؤلفات الأخرى التي هي أصلا في النقد الأدبي ولكنها تضمنت قضايا بلاغية، من ذلك: الموازنة للآمدي، الوساطة بين المتنبي وخصومه لعبد العزيز الجرجاني، كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري، كتاب العمدة لابن رشيق، كتاب سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي، والمثل السائر لابن الأثير.

– كتاب النكت في إعجاز القرآن لعلي بن عيسى الرماني(ت 384 هـ): وقد قرر أن البلاغة عليا وهي بلاغة القرآن ودنيا وهي بلاغة البلغاء على اختلاف مستوياتهم. ثم رأى أن البلاغة عشرة أقسام هي: الإيجاز، التشبيه، التلاؤم، الفواصل، التجانس، التصاريف، التضمين، المبالغة، حسن البيان، وقد كانت له إضافات في هذا المجال وخاصة في تحديد بعض فنون البلاغة تحديدا دقيقا.

– كتاب إعجاز القرآن لأبي بكر الباقلاني (ت 402 هـ): أفرد في كتابه هذا قسما للحديث عن البديع (ليس بالمعنى الاصطلاحي الدقيق)، وأثره في الإعجاز القرآني، ومن الموضوعات التي تطرق إليها: السجع، والترصيع والتشبيه والاستعارة والمماثلة والكناية والإيجاز، والحقيقة والمجاز...

– المغني في أبواب التوحيد والعدل للقاضي عبد الجبار (ت 415 هـ): خصص في هذا الكتاب قسما تحدث فيه عن إعجاز القرآن، وتناول فيه الحديث عن الفصاحة ورأى أنها تقوم على أمرين: جزالة اللفظ وحسن المعنى، ثم تحدث عن أبواب البلاغة ومنها: التكرار وأنواعه، التطويل والإيجاز...

وشهد العصر العباسي الثاني وتحديدا القرن الخامس الهجري ازدهار التأليف في البلاغة العربية حيث تطور الدرس البلاغي، واتضحت كثير من قضاياه وتعمقت النظرة العلمية وأخذ في الاستقلال عن بقية العلوم الأخرى، ويمكن أن نذكر بعض المؤلفات في هذا الشأن:

– كتاب دلائل الإعجاز و كتاب أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني (ت471 هـ): يعد عبد القاهر الرائد في بحث مسائل البلاغة بحثا علميا دقيقا مفصلا مشفوعا بالأدلة والأمثلة متأثرا بالنزعة العقلية التي تميز بها المتكلمون الأشاعرة، وعلى الرغم من النتائج القيمة والبحث الوافي في علوم البلاغة وخاصة علم المعاني إلا أنه لم يفصل بينها فصلا حاسما بل تناولها بشكل مجمل دون تحديد لفروع علم البلاغة (المعاني، البيان، البديع)

- مفتاح العلوم للسكاكي (ت 626 هـ): هذا الكتاب هو الأول الذي وضعت فيه مسائل البلاغة منظم إلى حد ما، كما ذكرت فيه كل مباحثها، وحددت فيه أقسام البلاغة: علم المعاني، وعلم البيان، وقسم ثالث تحدث فيه عن المحسنات البديعية اللفظية والمعنوية التي قال إنها تأتي لتحسين الكلام.

-كتابا الإيضاح والتلخيص للخطيب القزويني (ت 739 هـ) : وهذان الكتابان هما شرح لمفتاح العلوم، وقد أورد فيهما كل مسائل البلاغة بطريقة منظمة ومرتبة ترتيبا دقيقا، ووضع في كل علم من علوم البلاغة الثلاثة (المعاني والبيان والبديع)، وجعل في كل قسم موضوعاته، وبحث المسائل بشكل مفصل وعميق ومشفوها بالشواهد والأمثلة.

اختلف الباحثون قديما وحديثا في مؤسس علم البلاغة، فمنهم من يرى أنه الجاحظ، ومنهم من يرى أنه ابن المعتز، وبعضهم رأى أنه السكاكي، وذهب آخرون إلى أنه عبد القاهر الجرجاني.

فروع علم البلاغة:

1- علم المعاني: وهي علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال[13] أو هو العلم بأصول وقواعد تعرف بها كيفية مطابقة الكلام لمقتضى الحال بحيث يكون وفق الغرض الذي سيق له، وموضوعه اللفظ العربي من حيث إفادته للمعاني والأغراض المقصودة للمتكلم[14]

أبرز موضوعاته: الخبر والإنشاء، أحوال المسند والمسند إليه، القصر وطرقه، الفصل والوصل، الإيجاز والمساواة والإطناب.

2- علم البيان: هو علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه[15]، فهو يعنى بالأصول والقواعد التي تمكن التعبير عن معنى معين بصور مختلفة.

أبرز موضوعاته: التشبيه وأنواعه، الحقيقة والمجاز، الاستعارة، الكناية

3- علم البديع: وهو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة ووضوح الدلالة، وهي ضربان: معنوي ولفظي[16]

فالمحسنات المعنوية يقع أثر على المعنى، ومنها: الطباق والمقابلة، مراعاة النظير، الإرصاد، المشاكلة، الاستطراد، التورية، الاستخدام، اللف والنشر، الجمع، التفريق، التقسيم، تأكيد المدح بما يشبه الذم، التوجيه، تجاهل العارف، ...

أما المحسنات اللفظية فيقع أثرها على اللفظ، ومنها: الجناس، السجع، الازدواج، الموازنة، التشريع، لزوم ما لا يلزم، رد العجز على الصدر،...

المحاضرة الثانية: أثر الفرق الكلامية في تأصيل البلاغة (المجاز عند المعتزلة أنموذجا)

سبقت الإشارة إلى أثر طوائف عدة في نشأة البلاغة وتطورها منها اللغويون والكُتاب والنقاد، والمتكلمون وهؤلاء هم أصحاب الفرق الكلامية التي كان هدفها الدفاع عن العقيدة الإسلامية وإثبات الإعجاز القرآن بالأدلة الدامغة والحجج الساطعة مستندين إلى العقل ، ومن أهم هذه الفرق: المعتزلة وهي فرقة من فرق الإسلام اتخذت لنفسها منهجا في الكلام وفي الخطابة وفي العقيدة يعتمد على العقل وما ينتجه من حجج دامغة وذلك في مواجهة بقية الفرق من شيعة خوارج ومرجئة وسنة وأيضا في مجالدة خصوم الإسلام من الملل والنحل الأخرى " إذ نصبوا أنفسهم للدفاع عن الإسلام أمام خصومه من أصحاب الملل ،، كما نصبوا أنفسهم لجدال الفرق الإسلامية من جبرية ومرجئة ومن خوارج وشيعة، إذ كانوا يقفون من السياسة موقفا محايدا، ومن أجل ذلك لقبوا بلقلهم (معتزلة)"[17]

ولم يكتف رجال المعتزلة بثقافتهم العربية التي نشأوا فيها بل استفادوا من الثقافات الأجنبية التي راجت في العصر العباسي، وخاصة الفلسفة والمنطق، إذ وجدوا في ذلك قوة إضافية تمكنهم من إسناد آرائهم وترتيب أفكارهم واستنباط الحجج والأدلة، وهذا لا نجده عند كثير من الفرق الأخرى، ويظهر أن ذلك من أسباب قوتهم الحجاجية والخطابية أيضا. والذي يهمنا في هذا الموضع هو مساهمة المعتزلة في مجال البلاغة العربية، والذي يؤكد هذا الدور ابتداء هو اهتمامهم بما عند الأمم

الأخرى في مجال البلاغة، وقد أورد الجاحظ تعريفات للبلاغة هي لأجانب " قيل للفارسي: ما البلاغة؟ قال: معرفة الفصل من الوصل. وقيل لليوناني: ما البلاغة؟ قال: تصحيح الأقسام واختيار الكلام. وقيل للرومي: ما البلاغة؟ قال: حسن الاقتضاب عند البداهة والغزارة يوم الإطالة. وقيل للهندي: ما البلاغة؟ قال: وضوح الدلالة وانتهاز الفرصة وحسن الإشارة"[18]

ولا شك أن هذه الأفكار التي أخذها المعتزلة عن الأمم الأجنبية قد ساهمت في تشكيل كثير من مباحث البلاغة العربية ،خاصة في جانب التقسيم والترتيب الذي كان من خصائص المنطق ونتائجه أيضا. وتروى في استفادة المعتزلة من الأمم الجنبية كالفرس والهنود واليونان أخبار كثيرة كلها تشير إلى مدى استفادة البلاغة العربية – وتحديدا عن طريق المعتزلة –من بلاغات الأمم الأخرى، والحقيقة أن المعتزلة لم يكن هدفهم أن ينقلوا هذه الآراء والأخذ بها وإنما كان هدفهم المقارنة بنيها وبين ما عند العرب في هذا الشأن ثم أنهم كانوا في صراع مع هؤلاء فأرادوا أن يعرفوا طريقة كلامهم فيتفوقوا عليهم، والأمر الآخر أن البلاغة العربية كعلم لم تكتمل بعد فكان المعتزلة بهذه الآراء وما يمتلكون من بيان عربي أصيل يحاولون وضع أسس هذا العلم، ولعل أقدم المفاهيم عن البلاغة نجده عند رجال المعتزلة وهي بلا شك من أثرهم الجليل في تأصيل هذا العلم، من هذه التعريفات والتي هي في حقيقة أمرها ملاحظات جوهرية عن حقيقة البلاغة فيها ما هو عربي أصيل ومنها ما هو أجنبي وافد، من هذه التعريفات والملاحظات تعريف " دقيق لعمرو بن عبيد المعتزلي المتوفى سنة 144هـ فقد عرفها بأنها (تخير اللفظ في حسن الإفهام)"[19] وهذا يؤكد أسبقية المعتزلة في رسم معالم البلاغة وتحديد دلالاتها

ومن ذلك أيضا نص للعتابي أيضا يبين فيه شروط البلاغي "كل من أفهمك حاجته من غير إعادة ولا استعانة فهو بليغ، فإن أردت اللسان الذي يروق الألسنة ويفوق كل خطيب فإظهار ما غمض من الحق وتصوير الباطل في صورة الحق"[20]، فهي كما نرى ملاحظات أولية ولكنها مفيدة ونجد أن لها صدى فيما سيأتي من أبحاث بلاغية خاصة فيما يتعلق بما يجب أن يتميز به الخطيب أو المتكلم

عامة، وفي المقولة أيضا من فكر المعتزلة المتأثر بالفلسفة وبالسفسطائيين أيضا خاصة عند قوله " وتصوير الباطل الحق صورة "

ويروى عن العتابي أيضا قول في غاية الأهمية " الألفاظ أجساد والمعاني أرواح، وإنما تراها بعيون القلوب، فإذا قدمت منها مؤخرا أو أخرت منها مقدما أفسدت الصورة وغيرت المعنى، كما لو حُوِّل رأس إلى يدأ، أو يدٌ إلى موضع رجل، لتحولت الخلقة، وتغيرت الحلية"[21]، وهي كما نرى ملاحظة ذات أهمية في علاقة اللفظ بالمعنى، وفي طريقة رصف الألفاظ بما يتماشى والمعاني، فأي تغيير لا يراعي ذلك يفسد الكلام، ومن غير شك فإن هذه القضية قد أخذت – لاحقا – حيزا كبير في مباحث علم البلاغة.

يقول شوقي ضيف بيان أثر المعتزلة في البلاغة العربية " ولعلنا لا نبالغ إذا قلنا إن خير ما أُثِرَ عن المعتزلة في البلاغة حتى أوائل القرن الثالث صحيفة بشر بن المعتمر المتوفى سنة 210هـ وقد رواها الجاحظ في البيان والتبيين تامة غير منقوصة "[22]

ثم يورد ما جاء في هذه الصحيفة وهي صحيفة طويلة قد ضمنها بشر مجموعة من التوجيهات للأديب الذي يريد أن كلامه بليغا مقنعا مؤثرا في مستمعيه، وأول شيء يطلبه منه أن يكون مستعدا نشيطا لأن ذلك من شأنه أن تأتيه المعاني والألفاظ في سهولة ويسر ودون تكلف، كما ينصحه أن يتخير ألفاظه، وأن يبتعد عن الغريب والوعر والمعقد من التراكيب ثم يضيف أن عليه أن يكسو عباراته بجمال فني يستمد ذلك من رشاقة الألفاظ وعذوبتها وجزالتها وسهولتها ووضوح المعاني وانكشافه، وأن يراعي في ذلك من يتوجه إليه بالكلام إن كان من العامة أو من الخاصة، ويؤكد أن المعنى لا يكون شريفا في ذاته بل إن المعنى يكون شريفا إذا استطاع الأديب أو الخطيب أن يلائم بين الكلام والمقام. وهذه الملاحظة على وجه الخصوص نجدها في صميم البلاغة كما استقرت قواعدها وتحديدا فيما يعرف بمراعاة مقتضى الحال. ويشرح هذه الفكرة في أن المتكلم عليه أن يوازن بين المعاني التي يوردها وأقدار السامعين وأحوالهم، وبين معانيه وموضوعاته فلا يضمنها إلا ما يصلح لها ويليق بها، على سبيل المثال إذا كان الخطيب من أصحاب علم الكلام وخطابه موجه إلى العامة

عليه أن يتحاشى ألفاظ المتكلمين لأنه كلامه حينئذ لا يكون مفهوما وبالتالي لا قيمة له، أما إذا خاطب أمثاله فعليه أن يستعملها لأن عقولهم تدركها وقلوبهم تحبها ونفوسهم تميل إليها.

الخلاصة في هذه الصحيفة أن صاحبها حاول أن يستفيد من الثقافة العربية والثقافة الأجنبية في البلاغة وسعى إلى وضع قواعد متينة تكون معينة لأي متكلم أديبا كان أو خطيبا حتى يكون كلامه بليغا قويا له تأثيره، وهذا ينطبق على كثير من رجال هذه الفرقة التي كان لها دورها البارز في تأسيس علم البلاغة.

ولعل أشهر وأهم من يمثل المتكلمين المعتزلة في موضوع البلاغة هو الجاحظ، وقد جعله بعض الدارسين موسس علم البلاغة، ونحن إذا استعرضنا آراءه وهي مبثوثة في كتبه وخاصة (البيان والتبيين، وكتاب الحيوان) سنجد الكثير من الآراء اللامعة والأفكار السديدة في شأن البلاغة سبق بها كل البلاغيين وبشهادتهم.

من القضايا التي تحدث عنها فكرة المطابقة بين الكلام والمقام الذي يقال فيه " وكما لا ينبغي أن يكون اللفظ عاميا وساقطا وسوقيا، فكذلك لا ينبغي أظن يكون غريبا وحشيا إلا أن يكون المتكلم بدويا أعرابيا، فإن الوحشي من الكلام يفهمه الوحشي من الناس، كما يفهم السوقي رطانة السوقي، وكلام الناس في طبقات كما أن الناس أنفسهم طبقات، فمن الكلام الجزل والسخيف والمليح والحسن والقبيح والسمج والخفيف والثقيل، وكله عربي، وبكل قد تكلموا.. إلا أني أزعم أن سخيف الألفاظ مشاكل لسخيف المعاني، وقد يحتاج إلى السخيف في بعض المواضع، وربما أمتع بأكثر من إمتاع الجزل الفخم من الألفاظ والشريف الكريم من المعاني"[23]

والجاحظ يستفيض في هذه الفكرة ويورد نماذج وآراء مختلفة عليها ويستشهد عليها أيضا بالقرآن الكريم " ورأينا الله تبارك وتعالى إذا خاطب العرب أخرج الكلام مخرج الإشارة والوحي والحذف، وإذا خاطب بني إسرائيل أو حكى عنهم جعل الكلام مبسوطا"[24] وقد أورد هذا الحكم حينما تحدث عن الإطالة في الكلام ومتى تحسن؛ فهو يرى أن اليهود قليلو الفصاحة لذلك لابد من الإطالة لان

فيه الشرح والتفسير والتفصيل الذي به يفهمون الكلام، في حين أن العرب أكثر فصاحة لذلك تكفيهم الإشارة وقادرون على إدراك المحذوف وتقديره.

وفي السياق نفسه يتحدث عن الإطناب والإيجاز ويتوسع في ذلك ويبن مواضع ومتى يحسن وشروطه، وكذلك الإيجاز؛ فهو يرى مثلا الترداد أو التكرار وهو من الإطناب أنه ليس له حد معين يجب الوقوف عنده بل ذلك يكون بحسب المستمعين ومستواهم، كما أنه يرى أنه لا عيب فيه في مواضع القصص والموعظة وفي الخطابة أيضا ولكنه يعيبه في الرسائل.

أما الإيجاز فهو يرى أنه لا يعني مجرد الاختصار في عدد الكلمات كما هو معروف بل هو في رأيه يكون بحسب حاجة المتكلم وما تفرضه عليه المعاني التي يوردها، يقول: " والإيجاز ليس يعنى به قلة عدد الحروف والألفاظ، فقد يكون الباب من الكلام من أتى عليه فيما يسع بطن طومار (صحيفة كبيرة) فقد أوجز ... وإنما ينبغي للمتكلم أن يحذف بقدر ما لا يكون سببا لإغلاقه"[25]، فالإيجاز كالإطالة بالنسبة إليه ليس له حد معين يقف عنده المتكلم خطيبا كان أو كاتبا، بل المعنى والمقام هما المتحكمان في هذا الأمر، فقد يكون الاتساع في الكلام داخلا في باب الإيجاز، وقد يكون ما يبدو في الظاهر أنه إيجاز ولكنه في الحقيقة إطناب، ومن غير شك فإن وضع هذا مكان ذاك يتنافى والبلاغة ، خاصة إذا أدى إلى استغلاق الكلام وعدم فهمه من قبل السامعين.

من القضايا التي تطرق إليها الجاحظ والتي كان لها أهمية في علوم البلاغة قضية صفات الألفاظ والمعاني وما يجب أن تتميز به أثناء الكلام وفي خطب الخطباء ورسائل الكتاب وغير ذلك، يقول: " وأحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره، ومعناه في ظاهر لفظه وإذا كان المعنى شريفا واللفظ بليغا وكان صحيح الطبع بعيدا عن الاستكراه ومنزها عن الاختلال مصونا عن التكلف صنع في القلوب صنيع الغيث في التربة الكريمة"[26] وله من هذا القبيل من الكلام الذي يتحدث فيه عن فصاحة الألفاظ وشرف المعاني ، بل ويستفيض كثيرا، ويأتي بالأمثلة والنماذج من كلام العرب الفصحاء ويستشهد بأقوال البلغاء وقد صارت آراؤه أساسا لعلم البلاغة في كثير من مباحثها.

هذه النبذة التي قدمناها تدل على مساهمة المعتزلة في نشأة علم البلاغة العربية وتأصيل مباحثها، وقد تميزت آراؤهم بالجملة بالحصافة والدقة والعمق، ولعل ما يقف وراء هذه الخصائص في آراء المعتزلة هو اعتمادهم العقل في هذا الجدل والاستنباط والمحاججة، وأيضا إلمامهم بالثقافة العربية وتمكنهم من مصادرها من قبيل كلام الأعراب الفصحاء ة وأقوال البلغاء العرب، والقرآن الكريم، إضافة إلى الثقافة التي الأجنبية المتمثلة في حكمة الهنود والفرس وفلسفة اليونان ومنطقهم، وخير من تجلت فيه هذه الصفات الموسوعية الجاحظ، إلا أنه ينبغي ملاحظة أن المعتزلة وعلى رأسهم الجاحظ لم يضعوا قواعد أو يسنوا قوانين مضبوطة تحكم مسائل البلاغة وإنما مساهمتهم مان عبارة عن رؤى وأفكار ونماذج، أصبحت على مر العصور مجال تأمل وبحث واستخلاص نت قبل العلماء والباحثين الذين جاءوا من بعده ليس من المعتزلة فحسب بل من غيرهم أيضا

المجاز عند المعتزلة:

قبل أن يستخدم هذا اللفظ في معناه الذي اصطلح عليه، كان له معنى يختلف عما استقر عليه في كتب البلاغة وعند البلاغيين، وكانت هناك إشارات عند اللغوين لدلالة هذا اللفظ على غرار ما نجد عند سيبويه والفراء، إلا أن أول من استخدم هذا المصطلح هو (أبو عبيدة معمر بن المثنى المتوفى سنة 210هـ) في كتابه (مجاز القرآن) وقد تناول فيه شرح وتفسير بعص الألفاظ والعبارات في القرآن الكريم، وتعرض للطرائق التي يتبعها القرآن في التعبير، فهو يقصد بالمجاز الطريقة أو الوجه الذي يخرج عليه الكلام، وهو من خلاله يحدد المعنى الدقيق للآية أو اللفظ موضع الاستشكال، وهو يورد لفظة في آية ويقول بعدها ومجازه كذا ويأتي بالمعنى المراد.

ومع تطور العلوم اللغوية وخاصة علم البلاغة أخذ مصطلح المجاز دلالات أخرى، من ذلك ما ذكره والحقيقة في اللغة ما أقر في الاستعمال على أصل وضعه، والمجاز ما كان بضد ذلك، وإنما يقع المجاز ويعدل إليه عن الحقيقة لمعان عديدة منها: وهي الاتساع والتوكيد والتشبيه.

ويعرف الشريف الجرجاني المجاز بأنه اسم لما أريد به غير ما وضع له لمناسبة بينهما؛ كتسمية الشجاع أسدا، وهو مفعل بمعنى فاعل، من جاز إذا تعدى كالمولى بمعنى الوالي، سمي به لأنه متعد من محل الحقيقة إلى محل المجاز.."[27]، ويعدد بعد ذلك أنواع المجاز وعلاقاته.

ويعرفه القزويني بقوله:" عرف السكاكي الحقيقة اللغوية بالكلمة المستعملة فيما لها من غير تأويل في به التخاطب مع قرينة مانعة عن إرادته..."[28] وتكاد هذه التعريفات للمجاز تكون هي المجمع عليها بين البلاغيين، واستقر عليها علم البلاغة، وإن كان ذلك باختلافات طفيفة، إلا أن هذا الموضوع لم يكن كذلك قبل نشأة علم البلاغة ونضج مصطلحاتها، بمعنى أن مصطلح المجاز لم يكن بهذا المعنى ، وقد أومأنا في البداية إلى معناه الذي كان عليه، ويذكر كثير من الدارسين أن الفضل في ظهور هذا المصطلح وأخذه لهذه الدلالة الاصطلاحية كان على يد المعتزلة[29].

وقد أنكر ابن تيمية أن يكون الخليل وسيبويه قد نطقا بالمجاز صراحة فقال " فهذا التقسيم هو اصطلاح حادث بعد انقضاء القرون الثلاثة ... ولا تكلم به أئمة اللغة والنحو كالخليل وسيبويه وأبي عمرو بن العلاء ونحوهم "[30].

ثم يضيف أنه من ابتكار المتكلمين المعتزلة ونحوهم من المتكلمين، القسم الأول من كلام ابن تيمية في أن المجاز لم يظهر قبل القرون الثلاثة غير صحيح لأننا سنجده في بدايات القرن الثالث، أما قوله بأنه حادث من قبل المعتزلة فهو كلام صحيح، وقد ذكر بعض الدارسين أن أول ظهور لهذا المصطلح كان على يد الأخفش في كتابه (معاني القرآن) وقد شرح فيه آيات من القرآن الكريم، وظهر فيه استخدامه للمجاز في هذا الشرح بالمضمون وبالمصطلح كما سنرى، يقول معقبا على قوله تعالى في سورة البقرة (الآية16)((فما ربحت تجارتهم)) " فهذا على قول العرب ' خاب سعيك' وإنما هو الذي خاب، وإنما يريد فما ربحوا في تجارتهم، ومثله بل مكر الليل والنهار "[31].

فالأخفش يقوم بتوجيه الكلام ويقول بأنه على غير الحقيقة، ويقوم بالتأويل بما يتلاءم والمعنى الذي يريده وهذا أساس المجاز. ثم يقوم بعد ذلك بوضع عنوان (هذا باب من المجاز) ويورد الآية 29 من سورة البقرة ((استوى إلى السماء فسواهن))، ويقول" ' وأما قوله استوى إلى السماء ' فإن ذلك لم

يكن من الله تبارك وتعالى لتحولٍ، ولكنه يعني: فعله، كما تقول: كان الخليفة في أهل العراق يوليهم/ ثم تحول إلى أهل الشام، إنما يريد فعله "[32]، فالكلام هنا في رأيه غير حقيقي واللفظ غير مستعمل في ما هو ظاهر ومتبادر إلى الذهن، والفكر الاعتزالي يبدو جليا في هذا التفسير وفي عذا التوجيه للألفاظ.

اما الجاحظ فيعده الباحثون أبرز من تحدث عن المجاز وحديثه عنه لا يختلف عن حديث المتأخرين عنه، وهذا يدل على أسبقيته في اكتشاف لهذه الفن البياني، وقد تعرض إليه في كتبه: البيان والتبيين، والحيوان، وفي بعض رسائله، فهو مثلا يجعل الاستعارة من المجاز وأيضا الاستعارة التمثيلية، ويقدم نماذج للمجاز من القرآن الكريم ومن كلام العرب، ويقول إن هذا أمر مألوف عندهم.

وقد عقد في كتابه (الحيوان) عدة أبواب: المجاز والتشبيه في الأكل، باب آخر في المجاز، باب آخر في مجاز الذوق. وقد أورد فيها أمثلة وعدها من المجاز، من ذلك مثلا تعقيبه على الآية القرآنية ((الذين قالوا إن الله عهد إلينا أن لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار)) "... علمنا أن الله عز وجل إنما كلمهم بلغتهم[33]. أي أن هذا الأكل ليس على الحقيقة وإنما هو على المجاز، ثم أتى بأمثلة عن نقل بعض الألفاظ من دلالاتها الوضعية إلى دلالات أخرى من ذلك قوله تعقيبا على بيت شعري:

وقد أكلت أظفارُه الصخرَ كلما تَعَايَا عليه طولُ مَرقًى توصَّلَا

فجعل النقص والتنقص أكلا"[34]

وفي موضع آخر " وأكل الأرض لما صار في بطنها: إحالتها إلى جوهرها"[35]، وذكر أيضا مجموعة من الآيات عدها من المجاز وهذه الآيات فيها نقل للفظ الأكل عن معناها الحقيقي الموضوع لها في اللغة، ((إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما)) (النساء، 10)، ((أكالون للسحت)) (المائدة 42)، ((إنما يأكلون في بطونهم نارا)) (النساء 10)

ويورد نماذج شعرية متعددة ويبين دلالاتها وأنها قائمة على غير الحقيقة المتعارف عليها أو الموضوعة لها، يقول عنها " ... فهذا كله مختلف، وهو كله مجاز "[36]

ويذكر الجاحظ نوعا آخر من المجاز سماه مجاز الذوق وقد عقد له بابا، يقول" وهو قول الرجل إذا بالغ في عقوبة عبده: ذق .. وكيف ذقته؟ .. وكيف وجدت طعمه، وقال عز وجل((ذق إنك أنت العزيز الكريم)) "[37] وهذا المجاز قائم أيضا على تحويل اللفظ من الدلالة على معنى في الأصل إلى معنى آخر من باب التشبيه والمماثلة، او من باب التوسع وهو مما اعتادته العرب في كلامها.

وقد سار البلاغيون على هذا النهج في فهم المجاز وجعله قسيما للحقيقة، حتى وضعت قواعده وأصلت مسائلهن وحددت مصطلحاته وبينت أنواعه وعلاقاته، والفضل في ذلك يعود في جانب كبير منه إلى المعتزلة وإلى الجاحظ بشكل خاص.

الدرس الثالث: الأسلوب الخبري و أضربه

إذا نظرنا إلى الكلام بشكل عام وحاولنا تقسيمه باعتبار الصدق والكذب، أي هل هو يقبل أن يوصف بأنه صادق أو كاذب أو أنه لا يقبل أيا من هذين الوصفين فإننا نجد البلاغيين يقسمونه إلى خبر وإنشاء؛ فإذا كان يقبل أن يوصف بأنه صادق أو كاذب سمي هذا الكلام خبرا أو أسلوبا خبريا، فإذا لم يقبل هذا الوصف كان إنشاء أو أسلوبا إنشائيا. لمن السؤال متى يحتمل أن يكون الكلام صادقا أو كاذبا؟ ومتى لا يحتمل ذلك وبالتالي لا يوصف بذلك؟ الجواب: إذا صح أن يقال لصاحب الكلام إنه صادق أو إنه كاذب فهذا الكلام في البلاغة هو خبر. فإذا قال أحدهم: (المطر ينزل بغزارة). فهذا خبر لأنه يصح أن صادقا فيما أخبر عنه وذلك إذا كان كلامه مطابقا للواقع، ويصح أن يوصف بأنه كاذب، وذلك إذا كان كلامه غير مطابق للواقع أي أن المطر الذي أخبر عنه لا ينزل بغزارة كما أخبر. وبعض البلاغيين يقولون بأن هذا الوصف بالصدق أو الكذب يتعلق بالخبر في ذاته أي بغض النظر عن المخبر " وذلك لتدخل الأخبار الواجبة الصدق كأخبار الله تعالى، وأخبار رسله، والبديهيات... ولتدخل الأخبار الواجبة الكذب كأخبار المتنبئين في دعوى النبوة"[38]

أما إذا قال أحدهم: (قُمْ يا فلان) لا يصح أن نقول له: أنت صادق أو أنت كاذب لأنه أصلا لا يخبر بشيء وبالتالي كلامه هذا ليس له مدلول خارجي. فهذا الكلام وأشباهه يسمى في البلاغة إنشاء.

فالخبر أو الأسلوب الخبري هو كل كلام صح أن يوصف بأنه صادق أو بأنه كاذب، فإذا كان مطابقا للواقع كان صادقا، وإذا كان مخالفا للواقع كان كاذبا.

الغرض من الخبر:

للخبر غرضان رئيسان يلقى لأجلها هما:

- **فائدة الخبر:** وهو ذلك الخبر الذي يكون ذا فائدة للمخاطب بحيث أنه يكون لا علم له من قبل، فيلقى إليه بغرض الإفادة ، وذلك كقولك لمن يجهل أركان الإسلام، فتقول له: يقوم الإسلام على أركان خمسة وتعددها له، أو كإخبارك من يجهل أية حقيقة أو معلومة عنك و عن غيرك، ويدخل في هذا الغرض الأصلي الإخبار بكل الحقائق العلمية والتاريخية والنفسية التي نجدها في المجالات العلمية المختلفة، كما تدخل فيها الأخبار السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي تقدمها وسائل الإعلام أو وسائل التواصل الاجتماعي، والغرض كما هو واضح هو إفادة المخاطب إفادة حقيقية وذلك حينما يكون جاهلا بمضمون الخبر.

– لازم الفائدة: هذا الغرض الأصلي الثاني للخبر، وهو يختلف عن الأول في أنه يلقى على مخاطب عالماً بمضمون الخبر، فلا يضيف له ذلك الخبر معلومة جديدة، بل أحيانا يكون المخاطب أكثر معرفة بمضمون الخبر من المتكلم، كقولك لصاحبك على سبيل الإخبار لا السؤال: اسمك هيثم، أو قولك: (أنت قدمت من السفر أمس)، أو: قولك (أنت تدرس في جامعة باتنة)، أو قولك له:(لقد نجحت في الامتحان بمعدل عال) فكل هذه المعلومات والأخبار لا يجهلها المخاطب بل هي معلومة له، فما فائدة الإخبار بها إذاً ؟ وما هدف المتكلم منها ؟

يقول البلاغيون بأن الهدف من هذا الخبر إفادة المخاطب أن المتكلم على علم بهذا الخبر، أي إفادة هذا المخاطب " أن المتكلم عالم بهذا الحكم ويسمى لازم الفائدة"[39] فالخبر في حد ذاته ليس

مجهولا من طرف المخاطب بل ربما يكون هو أعلم من المتكلم به، لذلك يسمى لازم الفائدة، فغرض المتكلم إذن مختلف وهو شيء آخر يتمثل في إعلام المخاطب بأن محدثه عالم بما يخبره به، وقد يكون هناك غاية للمتكلم من وراء إخباره أنه على علم بذلك لكن نحن ما يهمنا هنا هو الغرض الأصلي الثاني (لازم الفائدة)

الأغراض البلاغية للخبر:

قد يخرج الخبر عن هذين الغرضين الأصليين إلى أغراض بلاغية أو أدبية تستفاد وتفهم من سياق الكلام، وهي في الحقيقة معان في نفس المتكلم يعبر عنها باستخدام هذا الأسلوب، ومعرفتها ترجع إلى إلى فهم القارئ أو المخاطب وذوقه الأدبي كما ترجع إلى السياق الذي وردت فيه. وهذه الأغراض كثيرة منها: التحسر والأسى والاستعطاف، والتحذير والتهديد، والنصح والإرشاد وغيرها.

أمثلة ونماذج عن هذه الأغراض:

– إظهار التحسر: جاء في سورة مريم على لسان مريم عليها السلام: ((رب إني وضعتها أنثى))، فمن المقرر أن مريم لم ترد مضمون الخبر؛ وهو إخبار الله سبحانه بأنها وضعت أنثى؛ لأن المخاطب وهو الله عز وجل عالم بذلك، ولم تقصد أيضاً لازم الفائدة ؛ لأن الله عز وجل يعلم أنها عالمة، ولكن فائدة كلامها هو إظهار التحسر والتأسف على أنها كانت تريده ذكراً لا أنثى حتى يخدم بيت المقدس كما نذرت ، فلما جاءت أنثى أصابها الحزن؛ لأنها لن تستطيع أن تقوم بما يقوم به الذكر، ومرد ذلك كله حرصها على الخير.

ومن هذا القبيل قول لبيد:

ذهب الذين يعاش في أكنافهم وبقيت في خَلْف كجلدِ الأجربِ

فهو يتحسر على زمان مضى بسبب ما يرى من فساد في زمانه.

– إظهار الضعف: ومنه ما جاء على لسان موسى عليه السلام :((رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير))، وذلك بعدما ظهرت قوته في قضائه على الرجل بوكزه له ، وبرفعه غطاء البئر، بعد هذا كله قال ذلك اعترافاً بضعفه، وإظهارا لحاجته إلى ربه .

وقول زكريا عليه السلام: ((رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيباً))، قال ذلك بعدما تقدم به السن وأيس من الولد لكن الرجاء في الله عظيم، فما زال يدعو ربه، ويظهر ضعفه، بمثل هذه الآية حتى استجاب له سبحانه، فزكريا عليه السلام لا يخبر ربه هنا لأجل فائدة الخبر؛ لأنه العليم الخبير سبحانه، لكنها شكوى العبد الضعيف إلى مولاه، ليرحمه ويعطيه سؤله.

ومن هذا أيضا قول الشاعر:

قد كنت عدتي التي أسطو بها ويدي إذا اشتد الزمان وساعدي

– الوعظ والإرشاد: ومنه قوله تعالى : ((كل نفس ذائقة الموت)) فهنا لا يستفيد المستمع مضمون الخبر، لأنه لا ينكر وقوع الموت أحد، فدل هذا على أن الخبر له غرض آخر وهو الوعظ ، لذا كان مراد مَنْ يذكر هذه الآية في خطبة أو موعظة هو ترقيق القلوب، والتذكير بالمصير المعروف ليتعظ الناس .

– التوبيخ: تقول لطالب وقد أخطأ في الإجابة: السؤال كان سهلا

– الحث وتحريك الهمة: العلم يرفع صاحبه

– الفخر: كقول المتنبي:

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي وأسمعت كلماتي من به صمم

– المدح: كقول النابغة:

فإنك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

– إظهار الفرح: كقولك: حفظت القرآن الكريم كاملا، أو: نجحت في الامتحان، وغير ذلك منى العبارات التي تكشف عن فرح قائلها

وهناك أغراض أخرى تفهم من سياق الكلام كما سبقت الإشارة.

أَضْرُبُ الخبر: أضرب جمع ضرب، ومعناه نوع الخبر أو الصورة التي يرد عليها من حيث التركيب اللغوي.

من مقتضيات البلاغة أن يكون الكلام بقدر الحاجة وبحسب حال المخاطب ومراعاة المقام، وهذا المبدأ تقوم عليه كل الأساليب وتراعيها في تركيبها اللغوي.

وقد قسم البلاغيون الأسلوب الخبري بحسب حال المخاطب وعلاقته بمضمون الخبر، والمقصود بحال المخاطب هو مدى خلو ذهنه من الخبر" فينبغي أن يقتصر من التركيب على قدر الحاجة، فإن خالي الذهن من الحكم والتردد فيه أُسْتُغنِيَ عن مؤكدات الحكم، وإن كان مترددا فيه طالبا له، حسن تقويته بمؤكد، وإن كان منكرا وجب توكيده بحسب الإنكار... ويسمى الضرب الأول ابتدائيا، والثاني طلبيا، والثالث إنكاريا"[40] لذلك فإن الخبر يقسم حسب هذا النصّ إلى ثلاثة أقسام أو أضرب

- **الضرب الأول: الخبر الابتدائي:**

وهو ذلك الخبر يلقى إلى مخاطب خالي الذهن من الخبر وما يشتمل عليه، وبالتالي فإنه غير متردد ولا منكر له، وفي هذه الحالة يرد في صورة من التركيب اللغوي تكون خالية من أدوت التوكيد ، كأن تقول لشخص: عاد أخوك من السفر، أو : نزل سعر العملة اليوم.

- **الضرب الثاني: الخبر الطلبي:**

وهو الذي يلقى إلى مخاطب متردد في الخبر شاك في حقيقته، لذلك يحسن بالمتكلم أن يؤكد هذا الخبر ويستخدم في ذلك إحدى المؤكدات اللغوية لإقناع المخاطب وإثبات الخبر له حتى يزيل ذلك التردد والشك، كقولك لشخص يشك في قدوم أخيه من السفر، وأنت على علم أكيد بقدومه، تقول له: إن أخاك قادم.

ويرى عبد القاهر الجرجاني أنه إنما يحسن التوكيد إذا كان للمخاطب ظن على خلاف حكمك، وله تشوف إلى الوقوف على الحقيقة فيحسن تقوية الحكم بأن ونحوها ليتمكن المعنى المراد في نفسه ويطرح الخلاف وراء ظهره"[41]

- الضرب الثالث: الخبر الإنكاري

وهو الذي يلقى إلى مخاطب منكر للخبر معتقدا خلافه، ولذلك أطلق عليه هذا المصطلح، وفي هذه الحالة فإن الصورة اللغوية التي يكون عليها ينبغي أن تقوم على إزالة هذا الاعتقاد المنكر، وهو ما يحتم وجود أكثر من مؤكد من المؤكدات اللغوية، كقولك لشخص ينكر كروية الأرض: إن الأرض لكروية الشكل، فأنت قد عمدت إلى تأكيد هذا الخبر أو هذه المعلومة بأداتين من أدوات التوكيد وهما: إن واللام. وكقوله تعالى ((والعصر إن الإنسان لفي خسر)) ، حيث نلاحظ تأكيد خسران الإنسان بثلاث مؤكدات وهي: القسم وإن واللام. وكلما كان إنكار المخاطب كبيرا كلما تعددت أدوات التأكيد.

وفي القرآن الكريم مثال بليغ رفيع لاستخدام أضرب الخبر حسب حالة المخاطب ومدى قبوله للخبر، يقول تعالى في شأن القرية التي جاءتها الرسل (سورة يس الآية 13):

((واضرب لهم مثلاً أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون * إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما * فعززنا بثالث* فقالوا إنا إليكم مرسلون* قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا * وما أنزل الرحمن من شيء إن أنتم إلا تكذبون * قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون))

فقد جاء استخدام التوكيد حسب تكذيب القوم وإنكارهم ودرجته أيضا، فنجد الخبر الأول وهو: ((إنا إليكم مرسلون)) قد جاء ملائما لرد القوم الذين كذبوا الرسَل بدليل قوله تعالى : ((فكذبوهما)) وهو دليل على إنكارهم ، فقال الرسل :((إنا إليكم مرسلون)) فأكدوا كلامهم بـ(إن واسمية الجملة، إذ هي تدل على الثبوت، وبالتقديم للجار والمجرور (إليكم) أي: إليكم خصوصاً)، ثم رد الأقوام على الرسل بتكذيب أشد وإنكار أعنف حيث قالوا لهم: ((ما أنتم إلابشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شيء إن أنتم إلا تكذبون))، فوصفوهم بعدم الأهلية للرسالة فماهم إلا بشر، وقد شددوا في ذلك كما يدل عليه الحصر بطريق النفي والاستثناء، وأيضاً فقد أنكروا أنهم نُزِّل عليهم من الرحمن شيء ، وأمعنوا في ذلك كما يدل عليه دخول الجار(من) على كلمة (شيء) أي جزء

من الشيء ، ثم نسبوهم إلى الكذب صراحة : فهذه خمسة مظاهر من مظاهر التكذيب جابهوا بها الرسل وردوا بها كلامهم.

نلاحظ أن التوكيد يزداد كلما زاد إنكار القوم وأمعنوا في التكذيب باستخدام أدوات التوكيد وزيادتها وتنويعها أيضا كما تجلى لنا.

قد يتساءل شخص فيقول: كيف للمتكلم أن يعرف دائما حالة المخاطب الذهنية وكيف يعرف مدى تصديقه أو تكذيبه، ح فيعبر بحسب تلك الحالة، وذلك إذا لم يصدر منه أي رأي أو موقف، في هذه الحالة فإن المتكلم يفترض في المخاطب حالة معينة وموقفا معينا ويصوغ على أساسه أسلوبه فيؤكد كلامه بما يراه ملائما للحالة التي افترضها في المخاطب، وهذا يعرف في البلاغة بإخراج الكلام على مقتضى الظاهر، أي التعبير عن التعبير عن شيء لم يحصل وكأنه حاصل " ... وإخراج الكلام عليها إخراجا على مقتضى الظاهر، وكثيرا ما يُخَرَّج الكلام على خلافه، فيُجعَل غير السائل كالسائل، إذا قدم إليه ما يلوح له بالخبر فيستشرف له استشراف المتردد، والطالب، نحو: ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون. وغير المنكر كالمنكر، إذا لاح عليه شيء من أمارات الإنكار... والمنكر كغير المنكر إذا كان معه ما إن تأمله ارتدع))[42]، فالغاية من البلاغة هي وصول المعنى وتحقيق الغرض بالأساليب اللغوية الملائمة.

أشهر المؤكدات:

في اللغة العربية كثير من أدوات التوكيد التي بها يؤكد الخبر، ومن أشهرها

- إنّ وأنّ، كقوله تعالى: ((إن الله يأمر بالعدل والإحسان))، ((ألم يعلم بأن الله يرى))
- لام الابتداء، كقوله تعالى: ((((لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله))، (لله أكثر فرحا أكثر بتوبة عبده المؤمن))
- القسم، كقوله تعالى: ((والضحى والليل إذا سجى)) ((وتا الله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين)).
- ضمير الفصل، كقوله تعالى: محمد هو المخلص، ((وأولئك هم المفلحون)).

– قد وخصوصا إذا دخلت على الماضي، كقوله تعالى: قد سمعت ما قلت، ((قد أفلح المؤمنون))

– اسمية الجملة نحو: العلم نافع، الدين النصيحة.

– نونا التوكيد ، كقوله تعالى: (وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُوناً مِّنَ الصَّاغِرِينَ)، ((لئن لم ينته لنسفعن بالناصية)).

– أحرف التنبيه (أَلَا ، أمَا) كقوله تعالى: {أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ }، وقوله صلى الله عليه وسلم: (يا بني سلمة ألا تحتسبون آثاركم)، قولهr : (ألا تعجبون كيف يصرف الله عني شتم قريش ولعنهم يشتمون مذمما ويلعنون مذمما وأنا محمد)

– الحروف الزائدة للتوكيد مثل: (مِنْ) ماجاءني من أحد، (وما أنفقتم من شيء فإن الله يخلفه) ، الباء ((وما ربك بظلام للعبيد)).

– أسلوب القصر، لأنه توكيد فوق توكيد مثل:(وما من إله إلا الله)، (وما محمد إلا رسول)، إنما الأمم الأخلاق.

– السين وسوف الداخلتان على فعل يفيد الوعد او الوعيد، نحو: سأمنح المجتهد جائزة، سوف أعاقب الكسول.

– تكرير النفي، نحو: لم ولن أفعل ما أمرتني، لا لا أرضى بالذل.

– تقديم الفاعل في المعنى، نحو: علي يقوم

– أما الشرطية، ((وأما بنعمة ربك فحدث))،أما فما فعازم على التفوق

نماذج من أساليب التوكيد البليغة

– ((ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون))، ((ألا إنهم هم الكاذبون))

– ((إن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين، نعم وإنكم لمن المقربين))

– فأقسم ما تركي عتابك عن قلى ولكن لعلمي أنه غير نافع

– إني وإن قَصُرت عن همتي جِدَّتي وكان مالي لا يقوى على خُلُقِي

لتارك كل أمر كان يلزمنـــــــــي عارا ويشرعني في المنهل الرَّنقِ

- ولم أر كالمعروف أما مذاقـــــه فحلو وأما وجهه فجميـــــــــل
- قد يبلغ الرجل الجبان بمالـــــه ما ليس يبلغه الشجاع المِعـَدمُ
- إن الذي الوحشـة فـــــي داره تؤنسه الرحمة في لحـــــــــده[43]
- ما إن دمت على سكوتي مرة ولقد ندمت على الكلام مرارا
- وإن لصبار على ما ينوبني وحسبك أن الله أثنى على الصبر
- فما الحداثة عن حلم بمانعة قد يوجد الحلم في الشبان والشيب
- ولقد نصحتك إن قبلت نصيحتي والنصح أغلى ما يباع ويوهب
- فيوم علينا ويوم لنا ويوم نساء ويوم نسر
- وإني لحلو تعتريني مرارة وإني لتراك لما لم أعود
- ((وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء))
- ((والضحى(1) والليل إذا سجى(2) ما ودعك ربك وما قلى(3) وللآخرة خير لك من الأولى(4) ولسوف يعطيك ربك فترضى(5) ألم يجد يتيما فأوى(6) ووجدك ضالا فهدى(7) ووجدك عائلا فأغنى(8) فأما اليتيم فلا تقهر(9) وأمل السائل فلاتنهر(10) وأما بنعمة ربك فحدث(11)
- قال الرسول- صلى الله عليه وسلم- للأنصار: (إنكم لتكثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع)
- جاء في نهج البلاغة (الدهر يُخلِق الأبدان، ويجدد الآمال، ويقرب المنيَّة، ويباعد الأُمنية، من ظفر به نَصَب، ومن فاته تعب)

الدرس الرابع: الإنشاء أنواعه وأغراضه

سبق أن أشرنا إلى أن الأسلوب الخبري يختلف عن الإنشائي في أنه يحتمل الصدق والكذب لأنه يخبر عن واقع وله مدلول خارجي قد يطابقه وقد يخالفه، أما الإنشائي فهو على النقيض من ذلك من هذه الناحية.

الإنشاء لغة هو الإيجاد والاختراع، من الفعل أنشأ ينشئ إنشاء، والكلمة ترد مصدرا واسما.

أما اصطلاحا فهو ما لا يحتمل صدقا ولا كذبا[44]، وهو "كما يطلق على الكلام الذي ليس لنسبته خارجٌ تطابقه أولا، كذلك يطلق على فعل المتكلم أعني إلقاء الكلام الإنشائي "[45]

فكلمة إنشاء بوصفها مصدرا تطلق إلقاء إيجاد الكلام وإلقائه هذا الذي وصف بأنها ليس له نسبة إلى خارج تطابقه أو لا تطابقه.

وتطلق بوصفها اسما على الكلام نفسه الذي له الصفة المتقدمة2

ومثال الكلام الإنشائي، قولك لصديقك: أقبل، كيف حالك؟ أو قول الوالد لولده: اجتنب مجالسة أصدقاء السوء، ففي هذه الأمثلة لا يمكننا أن نصفها بالصدق أو الكذب؛ لأنها أصلا لا تخبر بشيء وليس لها خارج تطابقه أولا حتى نحكم عليها، فالإقبال الذي طلبته من صديقك لم يحصل بعد، ومجالسة أصدقاء السوء من هذا الولد لم تحصل أيضا.

وهو قسمان: إنشاء طلبي وغير طلبي

فالطلبي فهو الكلام الذي يستدعي مطلوبا غير حاصل في اعتقاد المتكلم وقت الطلب، فإذا قلت لشخص: أطع والديك، فهو طلب يستدعي شيئا غير حاصل حال تلفظك به، وانت تطلب حصول، وإذا قلت لشخص: ما اسمك؟ او ما عملك؟ فإن ما طلبته غير حاصل وقت طلبته لأن الشخص لم يخبرك عن اسمه أو عمله بعد. وهذا بالتحديد الإنشاء الطلبي. وهو خمسة أنواع: الأمر والنهي والاستفهام والنداء والتمني.

أما الإنشاء غير الطلبي فهو ما لا يستدعي مطلوبا غير حاصل في اعتقاد المتكلم وقت الطلب، بمعنى أن المتكلم لا يطلب حصول شيئا، وإنها هو مجرد تعبير منه أقرب ما يكون للإخبار إلا أنه

كلام لا يحتمل الصدق أو الكذب، فلو قال أحدهم: ما أجمل السماء، لا يصح أن يقال عنه أنه صادق أو كاذب لعدم وجود خارج يطابقه أو لا يطابقه. وهذا النوع من الإنشاء لم يلق من العناية والدراسة ما لقيه الإنشاء الطلبي[46]، وهو أنواع عديدة: التعجب، صيغ المدح والذم، والقسم، الفاظ العقود، والرجاء، ورب وكم الخبرية، وبعض أفعال المقاربة.

– أنواع الإنشاء الطلبي:

1– الأمر

يُعرّف الأمر بأنّه صيغة وضعت لطلب فعل، أو طُلب بها فعل، بأداة على وجه الاستعلاء، أو هو بعبارة أخرى طلب القيام بالفعل على وجه الإلزام والاستعلاء، ويعرف إنّه: "طلب الفعل بصيغة مخصوصة وله ولصيغته أسماء بحسب إضافاته، فإن كان من الأعلى إلى ما دونه قيل له أمر، وإن كان من النظير إلى النظير قيل له طلب، وإن كان من الأدنى إلى الأعلى قيل له دعاء"[47]، كما تقول مثلا: افعل الخير، أو أطيعا أبويكما، أقيمي الصلاة...

ونحو ذلك من الأوامر التي يتوجه بها المتكلم إلى مخاطب بصورة مباشرة ويطلب منه القيام بفعل معين، والأصل في الأمر أن يكون من أعلى إلى أدنى، ويكون أيضا ملزما أي يتوجب على المأمور القيام بالفعل، إلا أنه قد يخرج عن هذا الأصل إلى معان بلاغية أخرى (كما سنرى لاحقا)

ولأسلوب الأمر أربع صيغ تدل على معناه الحقيقي، وهذه الصيغ هي:

– فعل الأمر: كقول الله تعالى: (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ).((خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ))،

– الفعل المضارع المقترن بلام الطلب: نحو قوله تعالى: (لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ).((وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الخَيْرِ))

– اسم فعل الأمر: مثل: "حيّ على الصلاة". حذار حذار من الدنيا

– المصدر الذي ينوب عن فعل الأمر: ((وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا))، فكلمة (إحسانا) مصدر ناب عن الفعل (أَحسنْ)

كقول الشاعر:

صبرًا في مجال الموت صبرًا فَمَا نيلُ الخلود بمستطاعِ

كلمة (صبرا) مصدر نابت عن الفعل (اِصْبِرْ)

قد يخرج فعل الأمر عن أصله أو معناه الحقيقي إلى معانٍ مجازيّة بلاغية غير معانيه الحقيقيّة، وهذه المعاني كثيرة تفهم من سياق الكلام من ذلك:

– الدعاء: يأتي الأمر ليفيد الدعاء وذلك إذا كان صادرا من الإنسان متوجها فيه إلى الله ويظهر فيه التضرع والرجاء والخضوع، كقوله تعالى: (قالَ رَبِّ اغفِر لي وَلِأَخي وَأَدخِلنا في رَحمَتِكَ وَأَنتَ أَرحَمُ الرّاحِمينَ). ((ربّنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة))، وهذا المعنى واضح من الأمر، لأنه صادر من أدنى إلى أعلى، وهذه قرينة حالية تجعلنا نفهم المعنى بسهولة

– النصح والإرشاد: يأتي الأمر كذلك ليفيد النصح و الإرشاد وذلك إذا لم يكن ملزما، والسياق والقرائن دائما هي ما يكشف هذا المعنى المجازي، نحو: جالس الحكماء، ((وإذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه))

التهديد: يأتي الأمر ليفيد التهديد في حالة عدم الرضا من المأمور به، كقوله تعالى: (وَقُلِ الحَقُّ مِن رَبِّكُم فَمَن شاءَ فَليُؤمِن وَمَن شاءَ فَليَكفُر)، ((اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصبر))

– الالتماس: يأتي الأمر ليفيد الالتماس وذلك عندما يتساوي الآمر والمأمور في الرتبة، سواء أكانت حقيقيّة أم ادعاء، ويتصف الأمر فيه باللطف، كقوله الله تعالى: (فَأَوفِ لَنَا الكَيلَ وَتَصَدَّق عَلَينا إِنَّ اللَّهَ يَجزِي المتَصَدِّقينَ)، وكقولك لزميلك: اكتب الدرس

– الإكرام: كقوله تعالى: ((فَلَمّا دَخَلوا عَلى يوسُفَ آوى إِلَيهِ أَبَوَيهِ وَقالَ ادخُلوا مِصرَ إِن شاءَ اللَّهُ آمِنينَ))، ((ادخلوها بسلام آمنين))

التمني: يأتي الأمر ليفيد التمني عندما يكون المأمور غير عاقل، نحو قولنا: "لا تنتهِ يا زمنَ الفرح والمسرات، وكقولك: يا هَمُّ زُلْ

– التسوية: يأتي الأمر ليفيد التسوية في حال توهم المخاطب ترجيح أمرٍ أو أمور متعددة على آخر، كقوله تعالى: ((وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ)). أي يتساوى فيه الأمران في التنفيذ

– التعجيز: يأتي الأمر ليفيد التعجيز ويكون في مقام إظهار عجز المخاطب وعدم قدرته بالقيام بأمرٍ ما، كقوله تعالى: ((فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ)، ((فأتوا بسورة من مثله))

– الامتنان: كقوله تعالى: (فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ).((فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا))

– الإهانة: يأتي الأمر ليفيد الإهانة والتحقير، ويكون في حال عدم المبالاة بالمأمور وإظهار حقارته، ومن الأمثلة على ذلك قولنا: دع المكارم والعلا فهي لأهلها، ((كونوا حجارة أو حديدا))

التسخير: يفيد الأمر التسخير في حال كان المأمور منقاداً للآمر، ولكنه غير قادرٍ على القيام بالفعل، ((قُلنا يا نارُ كوني بَردًا وَسَلامًا عَلى إبراهيمَ)).

– التخيير: يأتي الأمر بصيغة التخيير في حال كان المخاطب متوهماً بجواز الجمع بين أمرين أو أكثر لا يمكن الجمع بينهما، مثل قولنا: تزوج هنداً أو أختها

وكقول الشاعر:

من شاء فليبخل ومن شاء فليجد كفاني نداكم من جميع المطالب

– الإباحة: يأتي ليفيد الأمر الإباحة وذلك لتمكين المأمور من فعل ما أُمر به دون إلزام، نحو قوله تعالى: ((وكلوا واشربوا ولا تسرفوا))

– التهكم: كقوله تعالى: (قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ).

– التعجب: كقول الشاعر:

أكرم بقوم رسول الله قائدهم إذا تفرقت الأهواء والشيع

– الاعتبار: كقوله تعالى: ((قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ))

إلى غير ذلك من الأغراض والمعاني المجازية التي يفيدها الأمر بمختلف صيغها، والتي تستفاد من سياق الكلام والدالة على ما في هذا الأسلوب من قدرة على التعبير عما يريده المتكلم فتتحقق البلاغة في كلامه.

2- النهي:

يُعرّف أسلوب النهي بأنّه "طلب كف عن فعل على جهة الاستعلاء مع الإلزام"[48]، ويطلب فيه التوقف عن الإتيان بفعل ما والكف عنه بصورة جازمة، نحو أن نقول: "لا تكذبْ"، ويتألف أسلوب النهي الحقيقي من عنصريْن، وهما: العلو والاستعلاء، وهو يشبه أسلوب الأمر في هذا المعنى ولأسلوب النهي صيغة حقيقيّة واحدة ألا وهي صيغة الفعل المضارع المسبوق بـ (لا) الناهية، مثل قولنا: لا تفعل ما يغضب ربك، لا تنسوا إعانة الفقير

النهي أيضا قد يخرج إلى معانٍ بلاغيّة تفهم من سياق الكلام مثل الأمر منها ما يلي:

- الدعاء: يأتي النهي بمعنى الدعاء في حال كان صادراً من الأقل منزلةً إلى الأعلى مكانةً وشأناً، كقوله تعالى: (رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ).

- الالتماس: يأتي النهي بمعنى الالتماس عندما يصدر من شخص لشخص مساوٍ له في المرتبة، كقول الصديق لصديقه: لا تكفّ عن طلب العلم. ((قال يا ابن أمَّ لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي))

- التمني: يأتي النهي بمعنى التمني عندما يوجّه إلى غير العاقل بالكفّ عن فعل لا يمكن التوقف عنه، نحو: لا تغربي يا شمس، أيها الصبح لا تطلع

- النصح والإرشاد: يأتي النهي بمعنى النصح والإرشاد عندما يصدر كلامٌ من ذوي الحكمة والخبرة متضمناً معنى من معاني النصح والإرشاد، ومخاطباً به من هو محتاجاً إليه، كقول الشاعر:

لا تيأسوا أن تستردوا مجدكم فلربَّ مغلوبٍ هوى ثم ارتقى

وكقوله تعالى: ((يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم))

- التوبيخ: يأتي النهي بمعنى التوبيخ عندما يكون الغرض منه لوم المخاطب على فعل أمرٍ غير لائق، نحو قوله تعالى: (وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ).

– التحقير: يأتي النهي بصيغة التحقير عندما يراد منه الاستهزاء والسخرية من المخاطب، والتقليل من قدره وقدراته، كقول الشاعر:

دَعِ المكارمَ لا تَرحلْ لِبُغْيتِهَا واقعدْ فإنَّكَ أنت الطاعمُ الكَاسِي

– التيئييس: يأتي النهي في صيغة التيئييس عندما يراد منه توقّف المخاطب عن المحاولة في فعل ليس منه فائدة بناء على كلام المتكلم، مثل قوله تعالى: ((لا تَعتَذِروا قَد كَفَرتُم بَعدَ إيمانِكُم)).

– التهديد: يأتي النهي في معنى التهديد عندما يراد منه المتكلم تخويف مَنْ هو أقل منه منزلةً وقدراً؛ كقولك: لا تقرب هذا الفعل ثانية، لا تعد إلى مثل هذا

3/ الاستفهام: الاستفهام هو طلب الفهم، وهو استخبارك عن الشيء الذي لم يكن لك علم به من قبل[49]

ويعرف أيضا: هو طلب العلم بشيء لم يكن معلوما من قبل [50]

والاستفهام أسلوب من الأساليب اللغويّة التي يطلب فيها فهم ومعرفة أمر ذهني مجهول، سواء أكان هذا الأمر يتعلق بشخص أم بأمر فردي أم بنسبة أم بإحدى الأحكام، وتستخدم أدوات استفهاميّة لتأدية هذا الغرض،

أدوات الاستفهام: وهي قسمان، حروف وأسماء

– حرفا الاستفهام وهما:

"الهمزة" والتي تستخدم لمعرفة محتوى الجملة في حال كان السائل يجهل هذا المضمون، ويستفهم بها عن التصور والتصديق أي عن المفرد والحكم، مثل: أطلعت الشمس؟ أجاء الأستاذ؟ أفهمت الدرس؟ فأنت تسأل عن الحكم، وتكون الإجابة بإثباته أو نفيه. ويسأل بها عن التصور كأن تقول: أالعلم أفضل أم البلاغة؟ أسعيد فاز أم علي؟ وهنا ينبغي التعيين أي الإجابة بأحدهما

أمّا الحرف الثاني فهو "هل"، ويسُأل بها لمعرفة النسبة، سواء أكانت في الجملة الفعليّة أم الاسميّة، ولا يُستفهم منها بشكل فردي، نحو: "هل أحمد ضربت؟"

أمّا القسم الآخر من أدوات الاستفهام فهي الأسماء، ويطلب بهذه الأدوات التعيين؛ أي طلب التصور، وهي تستخدم مع الجملتين الفعليّة والاسميّة، وهذه الأدوات هي: ما، وأين، ومَنْ، وكيف، وكم، وأيّ، وأنّى، وأيّان، ومتى.

قد يخرج أسلوب الاستفهام عن معانيه الأصليّة إلى معانٍ مجازيّة يمكن التعرّف عليها من سياق الكلام، وهذه المعاني هي:

- الإنكار: نحو: ((أغير الله تدعون)) ، ((أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم))

- التسوية: نحو قوله تعالى: (سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ).وكقول الشاعر:

ولست أبالي بعد إدراكي العلا أكانت تراثا ما تناولت أم كسبا

- النفي: كقول الله تعالى: (هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ).

- الأمر: نحو: ((فهل أنتم منتهون))

- النهي: كقوله تعالى: ((يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ))، ((أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين))

- التشويق: كقول الرسول الكريم (عليه الصلاة والسلام) في حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه: (ألا أَدلك على أبواب الخير؟.....ألا أُخبرك برأس الأمر، وعموده، وذِروة سنامه؟...ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟).((هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم))

- التعظيم: كقول الشاعر:

أضاعوني وأيَّ فتًى أضاعوا ليوم كريهةٍ وسِدادِ ثغْر

((من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه))

- التحقير مثل قولنا: ((ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون))

- الاستئناس: ((وما تلك بيمينك يا موسى))

- التعجب: نحو قوله تعالى: (مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ).

- التوبيخ: ((أفعصيت أمري))

فائدة: للتنغيم دور في تمييز صور الاستفهام عن بعضها، فيساعد على تصنيفها فيما إذا كان الاستفهام يفيد التقرير أو التعجب أو التمني أو أي معنى آخر[51]

4/ النِّداء: هو طلب الإقبال أو تنبيه المنادى وحمله على الالتفات بأحد حروف النداء[52]

وهو أسلوب من الأساليب الإنشائية المهمة في النحو العربي، والبلاغة العربية وكما سبق يقصد به الطلب مِنْ الآخر للانتباه والقدوم، ويتمّ ذلك باستخدام أدوات الاستفهام التي تستخدم حسب الغرض الذي يرغب المتكلم لفت انتباه المخاطب إليه، وقد جاءت أدوات النداء متنوّعة؛ فكل أداة من هذه الأدوات لها معناها ومدلولها الوظيفي والبلاغي،

أدوات النداء: الهمزة، أيْ، يا، أيا، آي، هيا، آ، وا

ويجوز حذف أداة النداء، مثل: رب اغفر لي

وهي تُستخدم حسب قرب المنادى منها، ومن هذه الأدوات نذكر ما يلي:

الهمزة: تستخدم للمنادى القريب، نحو: "أخالدٌ أغلق الباب" يا: تستخدم للمنادى المتوسط في البعد، مثل: "يا مريم لا تسهري كثيراً"، وتستخدم أيضاً للمنادى البعيد، نحو: "يا طالبي العلم اجتهدوا". أيا، هيا: تستخدم هاتان الأداتان للمنادى البعيد، نحو: "أيا عامل في المصنع قمْ بواجبك"، و"هيا متهوراً، انتبه".

وقد يخرج أحياناً عن معناه الأصليّ ويُستعمل لأغراض بلاغيّة متفاوتة، وقد ظهرت هذه الأغراض بجلاء في بلاغة القرآن الكريم؛ مما جعل البلاغيين يتسابقون للاهتمام به ودراسة صوره البلاغيّة، كما لم تخل الخطب، والقصائد الشعريّة، والأعمال الأدبيّة في العصر الجاهلي والعصور الأخرى التي تلته من الاهتمام بأسلوب النداء، سواء أكان بالتصريح أم بالتلميح بحيث ظهرت في هذه الأعمال أغراضه البلاغيّة بكلّ وضوح.

قد تخرج حروف النداء عن وضعها الأصلي:

- قد ينزل البعيد منزلة القريب، فينادى بالأداة الخاصة بالقريب كما في البيت الآلي:

أسكان نعمان الأراك تيقنوا بأنكم في ربع القلب سكان

– وقد ينزل القريب منزلة البعيد، فينادى بـ الهمزة و أي لأغراض:

* الإغراء: كقولك لمن جاءك يشكو: يا مظلوم تكلم

* الندبة: كقول الشاعر:

فواعجبا كم يدعي الفضل ناقص ووا أسفا كم يظهر النقص فاضل

* التعجب: كقول الشاعر:

فيا لك من ليل كأن نجومه بكل مغار الفتل شدت بيذبل

*الزجر: كقول الشاعر:

أ فؤادي متى المتابُ ألما تَصْحُ والشيب فوق رأسي أَلما

*التحسر والتوجع:

أيا شجر الخابور مالك مورقا كأنك لم تجزع على ابن طريف

5/ **التَّمني**: هو طلب أمر محبوب لا يرجى حصوله لأحد سببين:

– لكونه مستحيلا، كما في قول الشاعر:

أليت الشباب يعود يوما فأخبره بما فعل المشيب

– لكونه ممكنا غير مطموع في نيله، كما في قوله تعالى: ((يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون))[53]

أما إذا كان الأمر المحبوب ممكن الحدوث فطلبه يسمى ترجيا وتستخدم فيه: لعل وعسى

ولأسلوب التمني أربع أدوات هي:

– ليت: هي الأداة الأصلية للتمني، وبقية الأدوات فرعية وتفيد استحالة حصول الشيء، كقول الشاعر:

ألا ليت شعري، هل أبيتن ليلة بوادي الغضا أزجي القلاص النواجيا؟

– هل: تستخدم للتمني البعيد، كقوله تعالى: ((الُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ)) ، ((فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا))

- لو: نحو قوله تعالى: ((أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ))

- لعل (تستخدم للتمني استثناء)، كقول الشاعر:

أسرب القطا هل من يعير جناحه لعلي إلى من قد هويت أطير

فائدة: قد ينشأ التمني بغير هذه الأدوات وذلك بمفردات من قبيل: تمنى ومشتقاتها

الأسلوب الإنشائيّ غير الطَّلبيّ

سبق أن عرفنا الأسلوب الإنشائي غبر الطلبي بأنه ما لا يستدعي مطلوبا وقت الطلب، وهو أنواع:

- التعجب: ويكون بصيغتين قياسيتين هما:

*ما أفعل، نحو: ما أعظم الحلم وما أقبح الظلم

* أفعل به، نحو: أكرم بالشجاع

وله أيضا صيغ سماعية: لله درك، لله أبوهم، أدوات الاستفهام، أدوات النداء، الأمر والنهي

- المدح: وله صيغتان: * نعم، نحو: نعم الخلق الكرم

* حبذا، نحو: حبذا العلم، حبذا العيش وقومي جميع

- الذم: وله صيغتان هما: * بئس، نحو: بئس الخلق الكذب

* لا حبذا، نحو: لا حبذا الجهل

وقد يتم المدح والذم كلاهما عن طريق الأفعال المحولة، ومثال ذلك في المدح: كرم علي حسبا ونسبا، ومثاله في الذم: خبث سعيد أصلا

- القسم: ويكون بحروف القسم: الواو، الباء، التاء، (والله ما فعلت هذا) (بالله ما جئت) ((تالله تفتأ تذكر يوسف))، وهنا أيضا لفظة (لعمر) ((لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون)) ،(لعمري وما عمري علي هين)

- الرجاء: وهو طلب الأمر المحبوب الذي يمكن وقوعه، وأدواته هي: عسى وحرى واخلولق، وعسى هي الأكثر شيوعا

(عسى الله أن يأتي بالفتح) ،(حرى الطالب أن ينجح) (اخلولق المطر أن ينزل)

– ألفاظ العقود: وهي ألفاظ تبرم بها العقود وتستعمل بصيغة الماضي غالبا، من ذلك: بعت، اشتريت، وهبت، زوجت.

ومن الجدير بالذكر أن الإنشاء غير الطلبي لم يحظَ من علماء البلاغة بالبحث والاهتمام؛ وكانت حجّتهم في ذلك أنّ الأسلوب الطلبي أكثر بلاغة فهو بالقيم والملاحظات البلاغيّة، وأنّ أساليبه المتعددة أيضاً –التي سبق شرحها– تأتي بغير معانيها الأصليّة، فيتولد منها معانٍ بلاغيّة عدّة حسب السياق، ولهذا نال قسطاً كبيراً من اهتمامهم، على عكس أنّ معظم صيغ الأسلوب غير الطلبي كانت بالأصل عبارة عن أخبارٍ ثم نقلها بعد ذلك إلى الإنشاء، لذلك عدها البلاغيون خارج مباحث علم المعاني وفي النهاية لا يعني هذا أنّ الاسلوب الطلبي خالٍ من القيم الجمالية والأغراض البلاغية، بل إنه يشتمل على ذلك لكنه بدرجة أقل من الإنشاء الطلبي

الدرس الخامس: التقديم و التأخير ، الفصل والوصل

أ– تعريف التقديم و التأخير:

الجملة العربية إما فعلية و إما اسمية ، فإذا كانت فعلية فترتيب عناصرها واضح، الفعل ثم الفاعل أو بعبارة أخرى المسند ثم المسند إليه، فالفعل هو المقدم في الترتيب على الأصل. أما إذا كانت اسمية واستوى طرفا التركيب و كانا معرفين معا ، فقد اختلف في أيهما يمكن أن تصدر به الجملة، وأيهما تجعله خبرا ، فأما النحويون فلم يتعرضوا للتحديد، بل تركوا للمتكلم الخيار، و أجازوا أن يكون كل منهما هو المبتدأ والثاني هو الخبر، و يعربون المقدم مبتدأ والمؤخر خبرا ، لكن باختصار الترتيب فيها هو: المبتدأ ثم الخبر أو بعبارة أخرى المسند إليه ثم المسند. أما بقية عناصر الجملة فهي توابع ولا ينظر إليها إلا من هذه الزاوية أي باعتبارها فضلة وليست عمدة.

لكن البلاغيين بحثوا الأمر بحثا فكريا منطقيا دقيقا ، ناظرين إلى حال المخاطب، و ما هو الأعرف لديه من ركني الإسناد اللذين هما من المعارف.

و من هنا يأتي التعريف الذي يُعرَّف به التقديم و التأخير و هو :''مخالفة عناصر التركيب ترتيبها الأصلي في السياق ، فيتقدم ما الأصل فيه أن يتأخر ويتأخر ما الأصل فيه أن يتقدم . و الحاكم للترتيب الأصلي بين عنصرين يختلف إذا كان الترتيب لازما أو غير لازم ، فهو في الترتيب اللازم (الرتبة المحفوظة) حاكم صناعي نحوي ، أما في غير اللازم (الرتبة غير المحفوظة) ، فيكاد يكون شيئا غير محدد، و لكن هناك أسبابٌ عامة قد تفسر ذلك الترتيب

2– فائدة التقديم و التأخير:

للتقديم والتأخير فوائد جمة تعبر عن مدى سعي العربية إلى تحصيل جمال التعبير والصياغة قبل كل شيء، ولو كان ذلك على حساب الترتيب الذي وضعه الأولون لتراكيبهم.

يقول عبد القاهر الجرجاني رحمه الله متحدثا عن فائدته: "هذا باب كثير الفوائد، جم المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية ، لا يزال يفتر لك عن بديعة، و يفضي بك إلى لطيفة، و لا تزال ترى شعرا يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك و لطُف عندك، أن قدم فيه شيء و حول اللفظ من مكان إلى مكان"[54].

وقد تحدث غيره عن قيمة هذه الظاهرة في اللغة العربية بل وصفها بأنها مظهر من مظاهر قوة اللغة العربية؛ وقدرتها على مخالفة الترتيب المألوف لقرينة من قرائن المعنى من غير خشية لبس، اعتمادا على قرائن أخرى، ووصولا بالعبارة إلى دلالات وفوائد تجعلها عبارة راقية ذات رونق و جمال، فالتقديم يعد أسلوبا قويا من أساليب اللغة العربية ، ولهم من المنزلة والشأن في اللغة العربية ما لا يخفى

3– أقسام التقديم:

قسم عبد القاهر الجرجاني التقديم إلى نوعين[55]:

1– **تقديم على نية التأخير**: و ذلك كل شيء أقررته مع التقديم على حكمه الذي كان عليه و في جنسه الذي كان فيه، كخبر المبتدأ إذا قدمته على المبتدأ، و المفعول إذا قدمته على الفاعل.

مثاله: في السفر منافع، فإن (في السفر) خبر مقدم، وفي قولنا: القصيدة حفظت، فإن (القصيدة) مفعول به، فالخبر في المثال الأول والمفعول به في المثال الثاني رتبتهما التأخير وإن تقدما في الكلام، بمعنى أنها قد حافظا على رتبتهما الأصلية.

2- **تقديم لا على نية التأخير**: و لكن على أن تنقل الشيء عن حكم إلى حكم، و تجعل له بابا غير بابه و إعرابا غير إعرابه ، و ذلك أن تجيء إلى اسمين يحتمل كل واحد منهما أن يكون مبتدأ ويكون الآخر خبرا له فتقدم تارة هذا على ذلك وأخرى ذاك على هذا، و مثاله ما تصنعه بزيد والمنطلق ، حيث تقول مرة : (زيدٌ المنطلقُ) وأخرى (المنطلقُ زيدٌ)، فأنت في هذا لم تقدم المنطلق على أن يكون متروكا على حكمه الذي كان عليه مع التأخير، فيكون خبر المبتدأ كما كان، بل على أن تنقله من كونه خبرا إلى كونه مبتدأ، وكذلك لم تؤخر زيدا على أن يكون مبتدأ كما كان بل على أن تخرجه عن كونه مبتدأ إلى كونه خبرا[56].

و يضرب الجرجاني أمثلة أشد وضوحا على نماذج للتقديم بقوله :" و أظهر من هذا قولنا ضربتُ زيدا وزيدٌ ضربتُه ، لم تقدم زيدا على أن يكون مفعولا به منصوبا بالفعل كما كان ، و لكن على أن ترفعه بالابتداء ، و تشغل الفعل بضميره ، وتجعله في موضع الخبر له"[57].

ففي هذا القسم من التقديم تتغير صفة المقدم والمؤخر، فالمبتدأ يصبح خبرا، والخبر يصبح مبتدأ، ودون شك فإن مقاصد المتكلم وأغراضه هي ما يدفعه إلى هذا التقديم الذي تتغير فيها المعاني بتغير الرتب.

4- أغراض التقديم و التأخير:

هناك العديد من الأسباب و الدواعي لتقديم المسند على المسند إليه أي الخبر على المبتدأ في الجملة الاسمية، والمفعول به على الفاعل في الجملة الفعلية، لعل السبب المقدم عليها جميعا أن ذكره أهم من ذكر غيره، قال سيبويه في الكتاب " و إن قدمت الاسم فهو عربي جيد، كما كان ذلك عربيا جيدا ، وذلك قولك : زيدا ضربت، والاهتمام والعناية هنا في التقديم و التأخير سواء ، مثله في ضرب زيد عمرا و ضرب عمرا زيد" [58].

و هو ما أشار إليه الجرجاني بقوله: "و اعلم أنا لم نجدهم اعتمدوا فيه شيئا يجري مجرى الأصل غير العناية والاهتمام. قال صاحب الكتاب و هو يذكر الفاعل و المفعول : كأنهم يقدمون الذي بيانه أهم لهم و هم ببيانه أعنى، و إن كانا جميعا يُهمانِهم و يعنيانِهم "[59].

فهنا يظهر أن السبب الأساس في التقديم ما حقه التأخير هو الاهتمام بأمر المقدم؛ فإدا قُدم الخبر على المبتدأ يعني أنه أهم منه، وإدا قدم المفعول به على الفاعل يعني أنه أهم منه، لكن هذا لا يعني أنه لا توجد للتقديم والتأخير أغراض أخرى، إلا أن الاهتمام هو أساس هذه الأغراض

و قد عدد الإمام جلال الدين القزويني أسباب الورود التي نتحدث عنها و ذلك بعدما ذكر تقديم المسند إليه" وأما تقديمه فلكون ذكره أهم، إما لأنه الأصل ولا مقتضى للعدول عنه، وإما ليتمكن الخبر في ذهن السامع، لأن في المبتدأ تشويقا إليه ... وإما لتعجيل المسرة أو المساءة أو التطير، نحو: سعد في دارك، السفاح في دار صديقك، وإما لإيهام أنه لا يزول عن الخاطر، أو أنه يستلذ به"[60]، فتقديم المسند إليه يكون للأغراض الآتية:

أ- لكونه الأصل و لا مقتضى للعدول عنه، أي الترتيب الأصلي يوجبه ولا يوجد سبب لتأخيره

ب- لتمكين الخبر في ذهن السامع لأن في المبتدأ تشويقا إليه، إذ المتكلم من غرضه حصول ذلك

ت- لتعجيل المسرة أو المساءة للتفاؤل أو التطير، لأن في ذلك فائدة للسامع

ث- للإيهام أنه لا يزول عن الخاطر، أو أنه يستلذ به، وذلك أيضا ترغيب فيه

قد يقوم المسند إليه بنحو ذلك من الأغراض.

ج- قد يقوم المسند إليه بغرض تخصيصه بالخبر الفعلي، و قصر هذا الخبر عليه ... .

و على هذه الأسباب مدار التقديم و التأخير، وقد تكون هنالك أغراض أخرى تدعو إلى التقديم أو التأخير، قد نعرج عليها فيما يلي من عناصر، ضاربين لذلك أمثلة توضيحية .

أ- الأغراض البلاغية لتقديم المسند:

1- التخصيص والقصر :

نحو قوله تعالى: ((لله الأمر من قبل و من بعد)) ، وتقول: على الله اعتمادي

و قول الشاعر :

عذبة أنتِ كالطفولة

2- التشويق: نحو قول الشاعر:

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها شمس الضحى وأبو إسحاق والقمر

3- التفاؤل بما يسر المخاطب:

نحو: ناجح أنت، تقول لمريض: في عافية أنت

4- إثارة الذهن و تشويق السامع :

مثل قوله تعالى: ((إن في خلق السموات و الأرض و اختلاف الليل و النهار لآيات لأولي الألباب))

5- التعجب :

مثل : لله درك!

6- المدح:

مثل: نعم البديل من الزلة الاعتذار

7- الذم:

مثل : بئس الرجل الكذوب.

8- التعظيم :

نحو: عظيم أنت .

9- مراعاة توازن الجملة و السجع :

نحو: ((خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه))

ب- الأغراض البلاغية لتقديم المسند إليه:

زيادة على ذكرناه القزويني في هذا الشأن، يقول السكاكي:" و أما الحالة التي تقتضي تقديمه على المسند فهي: متى كان ذكره أهم، يقع باعتبارات مختلفة: إما لأن أصله التقديم و لا مقتضى للعدول

عنه، ...، وإما لأنه متضمن للاستفهام، ... و إما لتضمنه ضمير الشأن و القصة ... و إما لأن في تقديمه تشويقا للسامع إلى الخبر ليتمكن في ذهنه إذا أورده ..."[61] .

ويمكن ذكر أغراض أخرى أيضا:

1- التشويق إلى الكلام المتأخر:

نحو قول الشاعر ثلاثة ليس لها إياب الوقت و الجمال و الشباب

2- تعجيل المسرة:

نحو قوله تعالى: ((جنات عدن يدخلونها)

3- تعجيل المساءة:

مثل: السجن عشرون عاما لقاتل الطفلة .

4- للتبرك به:

نحو :الله سندي، ونحو: الله غايتنا والرسول قدوتنا والقرآن دستورنا والموت في سبيل الله أسمى أمانينا.

5- تقوية الحكم و تقريره :

مثل: ((والذين هم بربهم لا يشركون) (المؤمنون59).

و بالعودة إلى ما كتب حول الأغراض البلاغية من التقديم و التأخير .. في كتب البلاغة قديمها وحديثها نلاحظ أن هناك عددا آخر من الأغراض لا يتسع المقام لذكرها جميعا بأمثلتها

- مواضع التقديم و التأخير:

أ- ما يجب تقديمه و لو تأخر لم يؤد المعنى البلاغي المراد، وهذا الوجوب ليس من الناحية النحوية بل من الناحية البلاغية

1- تقديم المفعول به على فعله، كقولك : زيدا ضربت ، و فيه تخصيص له بالضرب دون غيره .

2- تقديم خبر المبتدأ عليه نحو: قائم زيد، فإنك إذا أخرت الخبر فليس فيه إلا الإخبار بأن زيدا قائم لا غير من غير تعرض لمعنى آخر من المعاني البليغة.

3- الظرف، و الغالب أنه يرد للدلالة على الاختصاص كقوله تعالى: (إن إلينا إيابهم ثم إن علينا حسابهم)

4- الحال فإنك إذا قدمته فقلت: جاء ضاحكا زيدٌ فإنه يفيد أنه جاء على هذه الصفة مختصا بها

5- الاستثناء في نحو قولك: ما ضربت إلا زيدًا أحدًا ، فإنك إذا قدمته فانه يفيد الحصر.

ب- ما يجوز تقديمه و لو تأخر لم يفسد معناه:

و يقصد به كل كلام ورد فيه ذكر لشيئين أو أكثر، و جاءت المذكورات متتالية ، فإن ترتيبها ذاك يكون لغاية معينة، و غالبا ما يكون الترتيب بذكر الأشرف فالأشرف، و لو قدم المتأخر ما كان ذلك معيبا، أو لو عكس الترتيب ما أخل بمعنى العبارة لا نحويا ولا بلاغيا.

يقول تعالى فيما يلي : ((و ما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا السماء)) وقوله تعالى في موضع آخر ((لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات و لا في الأرض)). فقدم سبحانه مرة الأرض وفي آية أخرى قدم السماء و الترتيب كما قلنا إنما يكون بحسب رغبة المتكلم لا غير والغاية التي يريد الوصول إليها والغرض الذي يرمي إليه.

ب- الفصل والوصل

إن العلم بمواقع الجمل، والوقوف على ما ينبغي أن يصنع فيها من العطف والاستئناف ومعرفة كيفية إيقاع حروف العطف في مواقعها أو تركها عند عدم الحاجة إليها صعب المسلك، لايوفق للصواب فيه إلا من أوتي قسطا موفورا من البلاغة ،وطبع على إدراك محاسنها، ورزق حظا من المعرفة في ذوق الكلام ،وذلك لغموض هذا الباب ودقة مسلكه وعظيم خطره وكثير فائدته، وهو مبحث من أهم مباحث علم البلاغة؛ فهو ليس مجرد عطف جملة على أخرى أو ترك هذا العطف، فكثيرا ما أدى سوء فهم هذا الأسلوب إلى إفساد المعاني وقلبها تماما عن وجهها الصحيح وقد أشار إلى ذلك كثير من البلاغيين يدل لهذا أنهم جعلوه حدا للبلاغة ، فقد سئل عنها بعض البلغاء، فقال (معرفة الفصل والوصل). كما ذكر ذلك الجاحظ، ومن الذين درسوا هذا الفن وبينوا أهميته وكشفوا عن عظيم خطره

في البلاغة عبد القاهر الجرجاني، يقول:" اعلم أن العلم بما ينبغي أن يصنع في الجمل من عطف بعضها على بعض، أو ترك العطف فيها، والمجيء بها منثورة، تستأنف واحدة منها بعد أخرى من أسرار البلاغة، ومما لا يتأتى لتمام الصواب فيه إلا الأعراب الخلص والأقوام الذين طبعوا على البلاغة، وأتوا فنا من المعرفة في ذوق الكلام، هم بها أفراد، وقد بلغ من قوة الأمر في ذلك أن جعلوه حدا للبلاغة... "[62].

تعريف الوصل والفصل:

– الوصل: عطف جملة على أخرى بأحد حروف العطف وهو (الواو)، والفصل :ترك هذا العطف بين الجملتين[63]

فالجملة الثانية أي المعطوفة تأتي في الأساليب البليغة مفصولة أحيانا ،وموصولة أحيانا. فمن الفصل، قوله تعالى: ((ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن)) فجملة (ادفع) مفصولة عما قبلها ولو قيل ،وادفع بالتي هي أحسن لما كان الكلام بليغا.

ومن الوصل قوله تعالى ((يأيها الذين امنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين)) عطف جملة (وكونوا) على ماقبلها ولو قلت ((اتقوا الله كونوا مع الصادقين)) ماكان بليغا فكل من الفصل والوصل يجيء لأسباب بلاغية .ومن هذا يعلم أن :-

الوصل:– جمع وربط بين جملتين بـ(الواو) خاصة لصلة بينهما في الصورة والمعنى أو لدفع اللبس، أي أن الجملتين متحدتين في الشكل والمعنى بحيث يجب عدم الفصل بينهما، وربما كان فصلهما يؤدي إلى لبس أي خلط يجعل المعنى بالنسبة للمخاطب غامضا

والفصل:- ترك الربط بين الجملتين اما لأنهما متحدتان صورة ومعنى أو بمنزلة المتحدتين، و إما لإنه لا صلة بينهما في الصورة أو المعنى.

بلاغة الوصل:

لا يكون الوصل إلا(بالواو) العاطفة فقط دون بقية حروف العطف؛ لإن (الواو)هي الاداة التي تخفى الحاجة إليها ويحتاج العطف بها إلى لطف في الفهم ودقة في الادراك إذ لا تفيد إلا مجرد الربط

وتشريك ما بعدها لما قبلها في الحكم نحو (مضى وقت الكسل وجاء زمن العمل، وقم واسع في الخير) بخلاف العطف بغير الواو فيفيد مع التشريك معاني اخرى كالترتيب مع التعقيب في (الفاء) وكالترتيب مع التراخي في (ثم) وهكذا باقي حروف العطف، فلو تم الوصل مثلا بالفاء فإن في معناها بالإضافة إلى العطف الترتيب والتعقيب وبالتالي تخفى معه بلاغة الوصل، كذلك الأمر بالنسبة لبقية الحروف عدا الواو.

وشرط العطف (بالواو) أن يكون بين جملتين جامع مثل (الموافقة) في نحو(يقرا ويكتب) وكـ(المضادة) في نحو(يضحك ويبكي) وانما كانت المضادة في حكم الموافقة لإن الذهن يتصور أحد الضدين عند تصور الآخر ف(العلم) يخطر على البال عند ذكر(الجهل) كما تخطر الكتابة عند ذكر (القراءة)،(والجامع) يجب أن يكون باعتبار المسند اليه والمسند جميعا فلا يقال (خليل قادم والبعير ذاهب) لعدم الجامع بين المسندّ إليهما كما لا يقال (سعيد عالم وخليل طويل) لعدم الجمع بين المسندين .

مواضع الوصل:

الوصل: عطف جملة على أخرى بالواو ويقع في ثلاثة مواضع:-

الأول:- إذا اتفقت الجملتان في الخبرية والإنشائية لفظا ومعنى، أي كانتا كلاهما خبريتان أو كلاهما إنشائيتان أو اتقتا معنى فقط ولم يكن هناك سبب يقتضي الفصل بينهما وكانت بينهما مناسبة تامة في المعنى، فمثال (الخبريتين) قوله تعالى:((إن الأبرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم)) فبين الجملتين حدث الوصل لان بينهما تناسبا في هذا الأسلوب ، ومثال (الإنشائيتين) قوله تعالى:(فادع واستقم كما أمرت) وقوله تعالى (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا) وصل جملة (ولا تشركوا)بجملة (واعبدوا) لاتحادهما في الإنشاء و لإن المطلوب بهما مما يجب على الإنسان يؤديه لخالقه، ويختصه به.

ومن هذا النوع قول الشاعر :-

عالجوا الحكمة واستشفوا بها وانشدوا ما حل منها في السير

فقد وصل بين ثلاثة جمل تتناسب في أنها مما يتعلق بأمر (الحكمة) وبواجب (الشباب) في طلبها والانتفاع بها.

ومثال (المختلفتين) كقوله تعالى: " إني أشهد الله، واشهدكم أني برئ مما تشركون " (أي: إني أشهد الله وأشهدكم) فتكون الجملة الثانية من هذه الآية إنشائية لفظا ولكنها خبرية في المعنى، ونحو (اذهب إلى فلان، وتقول له كذا) فتكون الجملة الثانية من هذا المثال خبرية لفظا ولكنها إنشائية معنى (أي: وقل له)

فالاختلاف في اللفظ، لا في المعنى المعول عليه ، ولهذا(وجب الاتصال) وعطف الجملة الثانية على الأولى لوجود الجامع بينهما، ولم يكن هناك سبب يقتضي الفصل بينهما ،وكل من الجملتين لا موضع لها من الإعراب.

الثاني: دفع التوهم غير المراد، وذلك إذا (اختلفت) الجملتان في الخبرية والإنشائية ،وكان الفصل يوهم خلاف المقصود كما تقول مجيبا لشخص بالنفي (لا – شفاه الله) لمن يسألك: هل برئ علي من المرض ؟؟ (فترك الواو) يوهم السامع الدعاء عليه وهو خلاف المقصود ،لان الغرض الدعاء له ، ولهذا (وجب الوصل) وعطف (الجملة الثانية) الدعائية الإنشائية على(الجملة الأولى) الخبرية المصورة بلفظ (لا) لدفع الإبهام، وكلتا الجملتين لا محل لها من الإعراب.

الثالث: إذا كان (للجملة الأولى) محل من الإعراب ،وقصد تشريك (الجملة الثانية) لها في الإعراب ومنه قول الشاعر أبي العلاء المعري:-

وحب العيش أعبد كل حر وعلم ساغبا أكل المرار

والأحسن أن تتفق الجملتان في الاسمية والفعلية، والفعلية في الماضية والمضارعة، والاسمية في نوع المسند من حيث (الإفراد – والجملة – والظرفية) ولا يحسن العدول عن ذلك إلا لأغراض منها:

أ/ حكاية الحالة الماضية، واستحضار الصورة الغريبة في الذهن، نحو: ((ان اللذين كفروا ويصدون عن سبيل الله ، ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون)).

ب/ إفادة التجدد في إحداهما والثبوت في الأخرى، نحو (الصديق يكاتبني وأنا مقيم على وده) وذلك لأن الدلالة على التجدد تكون بالجملة الفعلية، وعلى الثبات في الجملة الاسمية، ومثل هذا يحصل عند ارادة المضي في إحداهما والمضارعة في الاخرى .

مواضع الفصل:

أحيانا تتقارب الجمل في معناها تقاربا تاما حتى تكون الجملة الثانية كأنها الجملة الاولى، وقد تنقطع الصلة بينهما.

إما لاختلافهما في الصورة، كأن تكون إحدى الجملتين إنشائية والاخرى خبرية، وإما لتباعد معناهما بحيث لا يكون بين المعنيين مناسبة وفي هذه الأحوال يجب الفصل في كل موضع من المواضع الخمسة الاتية:-

الموضع الاول: (كمال الاتصال): وهو اتحاد الجملتين اتحادا تاما وامتزاجا معنويا – بحيث تنزل الثانية من الأولى المنزلة نفسها، وذلك:

1/ بأن تكون الجملة الثانية بمنزلة البدل من الجملة الاولى، نحو قوله تعالى((واتقوا الذي أمدكم بما تعملون أمدكم بأنعام وبنين)).

2/ أو بأن تكون الجملة الثانية بيانا لإبهام في الجملة الأولى كقوله سبحانه :-

((فوسوس اليه الشيطان قال يا ادم هل ادلك على شجرة الخلد)) فجملة (قال يا آدم) بيان لما وسوس به الشيطان إليه.

3/ أو بأن تكون الجملة الثانية مؤكدة للجملة الاولى، بما يشبه بان يكون توكيدا لفظيا أو معنويا كقوله عز وجل: ((فمهل الكافرين أمهلهم رويدا)) .

الموضع الثاني: (كمال الانقطاع) :

وهو اختلاف الجملتين اختلافا تاما وذلك:-

1/ بأن يختلفا خبرا وإنشاء لفظا ومعنى، أو معنى فقط ، نحو (حضر الأمير حفظه الله)، ونحو (تكلم إني مصغ اليك) وكقول الشاعر:

وقال رائدهم ارسوا نزاولها فحتف كل امرئ يجري بمقدار

فالمانع من العطف في هذا الموضع أمر ذاتي لا يمكن دفعه أصلا، وهو كون إحداهما جملة خبرية، والأخرى إنشائية ولا جامع بينهما.

2/ أو بألا تكون بين الجملتين مناسبة في المعنى ولا ارتباط، بل كل منهما مستقل بنفسه كقولك (علي كاتب، الحمام طائر) فإنه لا مناسبة بين كتابة علي وطيران الحمام، وكقول الشاعر:

إنما المرء بأصغريه كل امرئ رهن بما لديه

فالمانع من العطف في هذا الموضع (أمر ذاتي) لا يمكن دفعه أصلا وهو التباين بين الجملتين، ولهذا وجب الفصل، وترك العطف، لان العطف يكون للربط، ولا ربط بين الجملتين في شدة التباعد وكمال الانقطاع.

الموضع الثالث:- شبه كمال الاتصال:-

وهو كون الجملة الثانية قوية الارتباط بالأولى لوقوعها جوابا عن سؤال يفهم من الجملة الأولى فتفصل عنها كما يفصل الجواب عن السؤال كقوله سبحانه:-

((وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء)) فالجملة الثانية شديدة الارتباط بالجملة الأولى لإنها جواب عن سؤال نشأ عن الأولى(لم لا تبرئ نفسك؟؟ فقال (إن النفس لأمارة بالسوء) فهذه الرابطة قوية بين الجملتين مانعة من العطف، فأشبهت حالة اتحاد الجملتين وبذلك ظهر الفرق بين كمال الاتصال. ونحو قول الشاعر:

السيف اصدق أنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب.

فكأنه استفهم، وقال: لم كان السيف اصدق؟؟ فأجاب بقوله في حده.....الخ.

فالمانع من العطف في هذا الموضع وجود الرابطة القوية بين الجملتين فأشبهت حالة اتحاد الجملتين وبهذا وجب الفصل.

الموضع الرابع:- شبه كمال الانقطاع:-

وهو إن سبقت جملة بجملتين يصح عطفها على الاولى لوجود مناسبة ولكن في عطفها على الثانية فساد في المعنى فيترك العطف بالمرة: دفعا لتوهم انه معطوف على الثانية، نحو:

وتظن سلمى أنني أبغي بها بدلا أراها في الضلال تهيم

فجملة(أراها) يصح عطفها على جملة (تظن) لكن يمنع من هذا توهم العطف على جملة (أبغى بها) فتكون الجملة الثالثة من مظنونات (سلمى) مع أنه غير المقصود ولهذا امتنع العطف بتاتا ووجب الفصل، والمانع من العطف في هذا الموضع (أمر خارجي احتمالي) يمكن دفعه بمعونة قرينه ومن هذا يفهم الفرق بين كل من (كمال الانقطاع وشبه كمال الانقطاع).

الموضع الخامس:– التوسط بين الكمالين مع قيام المانع :-

وهو كون الجملتين متناسبتين وبينهما رابطة قوية ولكن يمنع من العطف مانع، وهو عدم التشريك في الحكم ، كقوله تعالى :-

((وإذا خلوا الى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون الله يستهزئ بهم))

فجملة(يستهزئ بهم) لا يصح عطفها على جملة (إنا معكم) لاقتضائه أنه من مقول المنافقين والحال أنه من مقوله تعالى (دعاء عليهم) ولا على جملة (قالوا) لئلا يتوهم مشاركته في التقييد بالظرف وإن استهزاء الله بهم مقيد بحال خلوهم الى شياطينهم، والواقع أن استهزاء الله بالمنافقين غير مقيد بحال من الاحوال ولهذا وجب الفصل .

الدرس السادس: الحقيقة و المجاز، أنواع المجاز

يعد المجاز من أهم مباحث علم البيان، وركنا من أركان البلاغة إذ به يتم التعبير عن المعاني بشكل جميل، وإخراجها في أشكال مثيرة، تشد القارئ وتجعله أسيرا لحسنها وروعتها، ولقد أهل اللغة ومن البلاغيين اهتماما منقطع النظير.

و**المجاز لغة**: مأخوذ من الفعل جاز بمعنى تعدى، تقول: جزت موضع كذا أي تعديته وقد جاء في لسان العرب" جزت الطريق وجاز الموضع جوزا وجوازا ومجازا: سار فيه وسلكه، وتجاوز عن الشيء: أغضى، وتجاوز فيه أي أفرط "[64]، وأيضا المجاز: المعبر. ولا شك أن العلاقة بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي للمجاز، فكما يكون في الأول يقصد به الانتقال من مكان إلى آخر أو تعدي موضع ما إلى موضع آخر، كذلك في الثاني المجاز فيه يعني الانتقال من معنى إلى آخر وتجاوزه.

أما **اصطلاحا**: فالكلام عامة إما لأن يكون حقيقة أو مجازا، فالحقيقة هي استخدام الكلمة في المعنى الموضوع لها في اللغة، او هي كل لفظ بقي على المعنى الذي وضع له أصلا، أو كما الف الناس في لغتهم اليومية استعماله، كأن نطلق كلمة القمر على الكوكب المعروف أو النهار على ما نعرفه، أو البحر أو الشجر وغير ذلك.

أما المجاز فهو كل استخدمت في غير المعنى الذي وضعت له أصلا – عكس الحقيقة –كأن نسمي نطلق على المرأة الجميلة اسم القمر، أو نسمي الرجل الكريم بحرا، يعرفه البلاغيون تعريفات عديدة ولكنها متقاربة، منها:" المجاز كل كلمة أريد بها غير ما وقعت له في وضع واضعها لملاحظة بين الأول والثاني "[65] ومنها أيضا " هو الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له في اصطلاح التخاطب على وجه يصح مع قرينة عدم إرادته، فلا بد من العلاقة ليخرج من الغلط والكناية"[66]

وليتضح المجاز أكثر نأخذ بعض الأمثلة

يقول الشاعر:

قامت تظللني من الشمس نفس أحب إلي من نفس

قامت تظللني ومن عجب شمس تظللني من الشمس

ففي هذين البيتين نلاحظ أن كلمة الشمس استعملت مرتين وبمعنيين مختلفين، الأول المعنى الحقيقي أي الشمس الكوكب الذي نعرفه، والثاني بمعنى انسان وضيء الوجه جميل، وهذا المعنى غير حقيقي أي مجازي، ونحن نلاحظ أن هناك علاقة بين هذين المعيين، الحقيقي والمجازي، وهي المشابهة، أي أن الشاعر أطلق اسم الشمس على هذا الشخص تشبيها له للشمس الحقيقية، ونحن

أيضا لم يلتبس علينا الأمر بين اللفظين وما يدلان عليه لأن الشاعر قد أتي بعبارة تمنع من إرادة المعنى الحقيقي (قامت تظللني) فالشمس الحقيقية لا تظلل، وهذا ما يسمى بالقرينة وهي التي لا تجعل السامع يفهم المعنى الحقيقي.

ويقول البحتري:

فلم أرَ ضِرغَامَين أَصدقَ منكما عِراكًا إذا الهَيَّابَة النِّكْسُ كَذَّبَا

هِزبرٌ مشى يَبْغِي هزبرا وأغْلبٌ من القوم يَغْشَى بَاسِلَ الوجه أَغْلَبَـــا

وفي هذين البيتين نرى أن الشاعر كذلك استخدم كلمة هزبر بمعنيين، المعنى الثاني للدلالة على الأسد الحقيقي، والمعنى الأول للدلالة على على الشخص الممدوح، والعلاقة هنا أيضا هي المشابهة في صفة الشجاعة، أما القرينة فهي حالية تفهم من سياق الكلام

ويقول البحتري:

إذا العينُ راحت وهي عينٌ على الجَوَى فليس بِسِرٍّ ما تُسِرُّ الأَضَالِعُ

في هذا البيت أطلقت كلمة عين على معنيين، الأول وهي عين الانسان أي الحقيقية، أما الثانية فاستعملها بمعنى الجاسوس وهو المعنى المجازي، والسبب في إطلاق كلمة العين على الجاسوس أن العين جزء من الإنسان فأطلقت على الانسان كله، من باب إطلاق الجزء على الكل، وهذا معروف في لغة العرب، أما العلاقة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجاز هنا فهي ليست المشابهة (على خلاف العلاقة في المجاز في المثالين السابقين) هذه العلاقة هي الجزئية، أما القرينة التي منعت من إرادة المعنى الحقيقي فهو عبارة (على الجوى) فهي بالتالي قرينة لفظية[67]

ويمكن أن نستخلص مايلي:

– الحقيقة: استعمال اللفظِ فيما وُضِعَ له أَصلاً، أي: دلالة اللفظ على المعنى الموضوعِ له في أصل اللغة، فنطلق على الأشياء الكلمات التي جعلت لها.

– المجاز هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له أصلا لعلاقة المشابه أو غير المشابه مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي، قد تكون القرينة لفظية أو حالية.

- **العلاقة:** هي الأمر الذي يقع به الارتباطُ بين المعنى الحقيقي للكلمة، و المعنى المجازي الذي انتقلتْ إليه، أو هي المناسبة بين المعنيين بحيث يتاح لنا أن نطق اللفظ على ما ليس له أصلا

وهذه العلاقة تجيءُ في الكلام على نوعين:

- العلاقة القائمةً على المشابهة، و**معنى المشابهة:** الشبه بين المعنى الحقيقي للفظ، و بين معناه المجازي الذي بموجبه أخذ هذا اللفظ (الصفة، أو وجه الشبه الذي يجمع بين المشبه و المشبه به.

رأيتُ زهرةً تحملُها أمُّها.

و المعنى: طفلة كالزهرة في النضارة والجمال.

المجاز يقع في كلمةِ (زهرة) المعنى المجازي الذي انتقل إليه هذا اللفظ: طفلة.

نوع المشابهة بين المعنى الحقيقي، والمعنى المجازي: النضارة، والطراوة، والجمال.

- العلاقةُ قائمة على غير المشابهة.

و معنى ذلك: أنه لا يوجد شبهٌ بين المعنى الحقيقي للفظ، و المعنى المجازي الذي انتقل إليه. وهذه العلاقة ليست واحدة بل متعددة (سنأتي إليها)

مثال: قال تعالى: ((و اركعوا مع الراكعين))

و المقصود: صلُّوا، والركوع جزء من الصلاة فأطلقت، أي أنّه أطلق الجزءَ و أراد به الكلَّ مجازًا، فالعلاقة جزئية

- القرينة

و هي اللفظ أو غيره مما يُمتنَعُ معه إجراءُ الكلام على حقيقته أو هي الدليل الذي لا يجعل السامع يعتقد في أن المعنى المقصود من اللفظ المجازي ليس هو الحقيقي

و معنى هذا: أَنّ القرينة تصرفُ الذهنَ عن المعنى الحقيقي الذي كانت تُستعمَلُ فيه الكلمة إلى المعنى المجازي الذي انتقلت إليه.

رأيت في المدرسة أسدًا.

المجاز يقع في كلمة: أسد.

القرينة: في المدرسة.

و هذه القرينة هي التي تصرف ذهن السامع عن المعنى الحقيقي لكلمة أسد إلى المعنى المجازي الذي انتقلت إليه و هو الجرأة و الإقدام و الشجاعة.

و لولا هذه القرينة لكان السامعُ قد فهم من كلمة أسد: الحيوان، و لكنّه عندما قال: رأيت أسدًا في المدرسة انتقل ذهن السامع إلى أنَّ المقصودَ رجلٌ كالأسد، لأنه يستحيلُ وجودُ الأسدِ الحيوان في المدرسةِ.

أنواع القرينة

النوع الأول: قرينة عقليّةً، حاليّةً تُفهم من سياق الكلام.

و مثال ذلك قولك: (أقبل بحرٌ) فينظر السامع، و لكنه لا يرى سوى رجلٍ.

قال تعالى: ((كتابٌ أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور)).

و المعنى: لتخرج الناس من الضلال والكفر و تقودهم إلى الهدى والإيمان

القرينة حالية تفهم من سياق الحديث.

النوع الثاني: القرينة اللفظيَّة.

رأيْتُ بحرًا يعظُ الناس من فوق المنبر.

القرينةُ لفظ يعظ الناس، وهي التي تصرف الذهنَ عن المعنى الحقيقي لكلمة: بحر، وهو البحر المعروف إلى المعنى المجازي وهو: الشخص كثير العلم غزيره

فوائد المجاز: للمجاز فوائد كثيرة جدا في البلاغة والبيان، ويمكن أن نذكر بعضا منها:

- التوسع: ألفاظ اللغة لها معان ثابتة محددة بحسب وضعها، يعرفها الناس ويتداولونها، أو أنها موجودة في بطون الكتب والمعجمات، وعن طريق المجاز تكتسب معاني جديدة إضافية تتجاوز المعروف والموروث، ويتم استعمالها في مجالات مختلفة، المجاز ضرب من الإبداع في العلاقات القائمة بين المفردات.

- التوكيد: من الغايات التي يحققها المجاز أنه وسيلة من وسائل توكيد المعنى وترسيخه في الذهن لأنه يقدم المعنى في شكل حسي عن طريق التخييل وهذا يجعل السامع أكثر استيعابا للمعنى.
- التشبيه: يؤدي المجاز وظيفة التشبيه وخاصة المجاز اللغوي لأنه العلاقة القائمة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي هي المشابهة، وبغيرها لا يحصل المجاز
- فضلا عن ذلك كله فإن المجاز هو أداة اللغة الشعرية وقوام التعبير الأدبي بمختلق أشكاله، فهو يعمل على نقل المعاني والأفكار، ويعمل أيضا على تكثيف اللغة وإخراجها من السطحية والمباشرة.

أنواع المجاز:

سبق أن تحدثنا فيما سبق عن أن نوع المجاز تحدده العلاقة؛ فإذا كانت العلاقة مشابهة فالمجاز لغوي أو استعارة ، أما إذا كانت العلاقة فيه غير المشابهة فهو إما مجاز مرسل أو مجاز عقلي.

أولا: المجاز المرسل: هو اللفظ المستعمل في غير معناه الأصلي لعلاقة غير المشابهة، مع وجود قرينة تمنع إرادة المعنى الحقيقي.

مثال : قال تعالى : ((يجعلون أصابعهم في آذانهم)).

ف (أصابعهم) مجاز مرسل عن الأنامل والعلاقة بينهما (الكلية) حيث أطلق الكل وأريد به الجزء، والقرينة استحالة وضع الأصابع كاملة في الآذان.

فالمجاز في هذه هو في كلمة (أصابع) وهو معنى مجازي إذ المقصود (الأنامل) وهو المعنى الحقيقي، أما العلاقة بينهما فهي أن الأنامل جزء من الأصابع لذلك أطلقت بدلا عنها وفي معناها، وهذه العلاقة تسمى بـ (الكلية) وتعني أنه أطلق الكل (الأصابع) وّ أريد (الجزء)، أما القرينة التي تمنع من إرادة المعنى الحقيقي فهي عقلية أو حالية وهي استحالة وضع الأصبع كاملا في الأذن.

علاقات المجاز المرسل:

علاقات المجاز المرسل متعددة، ولذلك أطلقت عليه هذه التسمية لأنه ليس محكوما بعلاقة مثل المجاز اللغوي الذي تحكمه علاقة المشابهة فقط، ولتحديد نوع العلاقة ينبغي النظر إلى المعنيين الحقيقي والمجاز والحكم بالتالي عليها، ومن أبرز هذه العلاقات:

1/ السببية: وهي أن يكون المعنى الموضوع له اللفظ المذكور سبباً في المعنى المراد، فيطلق السبب على المسبب.أو بعبارة أخرى أن الشيء المنقول عنه سببا ومؤثرا في شيء آخر هو ما يسمى بالمعنى المجازي، وذلك من قبيل استعمال السبب للدلالة على النتيجة.

مثال : رعت الماشية الغيث.

ف (الغيث) مجاز مرسل عن (العشب) علاقته السببية؛ لأن الغيث سبب في المعنى المجازي للغيث وهو العشب؛ فهو سبب فيه، فأطلق السبب وأريد النتيجة، والقرينة (رعت الماشية) فالماشية لا ترعى الغيث حقيقة.

وكقول الشاعر:

لهُ أيادٍ عليَّ سابغةٌ أَعُدُّ منها ولا أُعَدِّدُهَا

فالمجاز المرسل هو في كلمة (أياد مفرد يد) مجاز عن الفضل علاقته السببية، لأن اليد سبب في العطاء والمنع، فأطلق السبب وأريد المسبب، والقرينة المانعة من إرادة المعنى الحقيقي هي (أعد منها ولا أعددها)

2/ المسببية:

هي أن يكون المعنى الحقيقي للكلمة المذكورة مسبباً عن المعنى المجازي لها، فيذكر المسبب ويراد السبب، أو هي أن يكون المنقول عنه مسببا وأثرا لشيء آخر، وهذه العلاقة هي بعكس العلاقة السابقة

مثال: أمطرت السماء نباتاً .

ف (نباتاً) مجاز مرسل عن (الماء) علاقته المسببية؛ فالنبات مسبب عن الماء ، والقرينة (أمطرت السماء) ، فالسماء لا تمطر النبات حقيقة.

قال الله تعالى: ((وينزل لكم من السماء رزقاً))، فالذي ينزل من السماء هو المطر، ولكن أطلق الرزق لأنه مسببا عنه، فالعلاقة مسببية، والقرينة عقلية لأن النزول لا يكون للرزق حقيقة.

3/ الجزئية: وفيها يطلق الجزء ويراد الكل .

مثال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه)

فقوله (صلى الله عليه وسلم): (قام) مجاز مرسل عن (الصلاة)، والعلاقة (الجزئية) حيث أن القيام جزء من الصلاة ؛ فأطلق الجزء الذي هو القيام (ركن في الصلاة) وأريد الصلاة، أي صلاة القيام.

قوله تعالى: ((فتحرير رقبة مؤمنة)) .

ف (رقبة) مجاز مرسل عن العبد علاقته الجزئية، "إذ اطلقت الرقبة وهي جزء من العبد، ولكن أريد العبد كله، والقرينة (تحرير) لأن التحرير لا يكون حقيقة للرقبة

يقول امرؤ القيس:

أغرك مني أن حبك قاتلي وأنك مهما تأمري القلب يفعل .

فالقلب مجاز مرسل إذا المقصود بالأمر هو نفسه وليس قلبه فحسب، والقلب جزء من الشخص، فأطلق الجزء و أريد الكل، والقرينة (تأمري) لأن الأمر لا يكون حقيقة للقلب

4/ الكلية: وفيها يطلق الكل ويراد به الجزء.

مثال : أكلت نبات الأرض.

ف (نبات الأرض) مجاز مرسل عن بعض النبات علاقته الكلية، والقرينة استحالة أكل كل نبات الأرض.

قال تعالى : ((يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت)).

أكلنا فاكهة الموسم، شربت ماء البحر، فالمقصود جزء من ذلك ولكنه أطلق الكل

5/ **اعتبار ما كان:** هي التعبير عن الشيء بما كان عليه من قبل، أو النظر إلى الشيء بما كان عليه في الماضي

مثال: قوله تعالى: ((وآتو اليتامى أموالهم)).

فقوله تعالى: (اليتامى) مجاز مرسل عن الراشدين والعلاقة اعتبار ما كان، لأن أموالهم إنما تعطى لهم وهم كبار قد بلغوا سن الرشد، ولكن أطلق عليهم باعتبار الحالة التي كانوا عليها،

أكلنا قمحاً، ف (قمحاً) مجاز مرسل عن الخبز علاقته اعتبار ما كان.

6/ اعتبار ما سيكون: وهي التي يعبربها عن الشيء بما سيكون عليه، أو النظر إلى الشيء بما سيكون عليه في الزمن المستقبل.

مثال: غرست اليوم شجراً .

ف (شجراً) مجاز مرسل عن البذور علاقته اعتبار ما سيكون، لأن ما يغرس هي البذور وليس الشجر، لكن هذه البذور ستنمو وتصبح شجرا في المستقبل، والقرينة عقلية، مثله: طحنت خبزا، ما يطحن هو القمح، ولكن الخبز لأن القمح سيصير كذلك

قال تعالى :" قال أحدهما إني أراني أعصر خمراً " .

ف (خمراً) مجاز مرسل عن (العنب) والعلاقة اعتبار ما سيكون لأن ما يعصر حقيقة هو العنب، ولكن أطلق الخمر بدلا عنه لأن سيؤول إليها بعد العصر، والقرينة أعصر

7/ المحلية: وفيها يذكر المحل ويراد الحالُّ به، أو كون الشيء محلا لشيء آخر، فيذكر بدلا عنه

مثال : قال تعالى : ((واسأل القرية التي كنا فيها)).

ف (القرية) مجاز مرسل عن أهلها، إذ المراد سؤال أهل القرية وهم الحالون بها وليس القرية في حد ذاتها، فأطلق المحل وأريد الحال، فالعلاقة المحلية.

مثال ثان: إن العدو وإن تقادم عهده فالحقد باق في الصدور مغيب.

فـ (الصدور) مجاز مرسل عن القلوب علاقته المحلية، لأن المقصود القلوب إلا أنه أطلق الصدور لأنها محلها

8/ الحالّية: حيث يعبر بالحال عن المحل، أو نقول: يرد اللفظ الدال على الحال لكن يراد به المحل

مثال : نزلت بقوم .

فـ (قوم) مجاز مرسل عن الديار علاقته الحالية، فأطلق الحال وهم القوم، وأريد به المحل وهي الديار التي يسكن بها هؤلاء القوم.

مثال ثان:

قال تعالى: ((وأما لذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون)).

فقوله تعالى :(رحمة) مجاز مرسل عن الجنة والعلاقة الحالية، فالرحمة حالة أو موجودة في الجنة، وهي المقصودة في هذه الآية

9/ الآلية: حيث يعبر عن الشيء باسم الآلة التي يحصل بها، أو هي كون الشيء آلة لإيصال شيء إلى شيء آخر،

مثال: قال تعالى ((وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم)).

فـ (لسان قومه) مجاز مرسل عن اللغة لأنه آلتها، فأطلق اللسان أريد بها اللغة، والعلاقة الآلية، ونقول أيضا: فلان يتكلم بخمسة ألسن أي يحسن خمس لغات.

مثال آخر: قال تعالى: ((فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون)).

فـ (أعين) مجاز مرسل عن البصر والرؤية والعلاقة الآلية ؛ فالعين آلة الإبصار.

10/ المجاورة: حيث يعبر عن الشيء باسم ما يجاوره، أو كون الشيء يجاور غيره فيطلق عليه اسمه

مثال :

فشككت بالرمح الصم ثيايه ليس الكريم على القنا بمحرم .

فـ (ثيابه) مجاز مرسل عن الجسد والعلاقة المجاورة.

وقد أهمل البلاغيون الحديث عن هذه العلاقة لأنه يمكن ضمها إلى علاقات أخرى كالمحلية

وللمجاز المرسل علاقات أخرى كالعموم والخصوص والبدلية والمبدلية والدالية والمدلولية واللازمية والملزومية، وغيرها (أمثلتها مبثوثة في كتب البلاغة)[68]

ثانيا: المجاز العقلي

المجاز العقلي هو إسناد الفعل أو ما في معناه إلي غير ما هو له لعلاقة بينهما مع وجود قرينة مانعة من الإسناد الحقيقي (والمقصود بما في معناه: المصدر، اسم الفاعل، اسم المفعول، الصفة المشبهة، اسم التفضيل، وهي مشتقات تعمل عمل الفعل.)

الإسناد المجازي إلي سبب الفعل أو زمانه أو مكانه أو مصدره أو بإسناد المبني للفاعل إلى المفعول أو المبني للمفعول إلى الفاعل[69].

وهو نوع من المجاز له طريقة مختلفة تعتمد الإسناد أي إسناد الفعل أو في ما معناه إلى غيره، بمعنى أن يكون الإسناد إلى غير من هو له في الحقيقة.

مثال: فتح طارق بن زياد الأندلس، ففعل فتح الأندلس هو في حقيقة الأمر يعود إلى الجيش كله، ولكنه نسب مجازا إلى طارق بن زياد لأنه هو قائد هذا الجيش؛ وبالتالي الفعل أسند إلى غير فاعله الحقيقي، ولكنه إلى من أشرف عليه و أمر به وهو سبب له في نهاية المطاف

وإذا قلنا: أنبت الله الزرع، فهذا الإسناد حقيقي، والكلام بالتالي يكون حقيقة، وإذا أردنا إخراج هذه العبارة إخراج المجاز قلنا: أنبت الغيث الزرع فالفعل أسند إلى غير فاعله الحقيقي وإنما إلى ما هو سبب في إنبات الزرع وهو الغيث.

وسُميَ هذا المجاز بالمجاز العقلي لأنه لا يقع في اللفظ في حد ذاته كما في المجاز اللغوي والمجاز المرسل، بل في الإسناد وهو يدرك بالعقل[70] لأن فيه مخالفة في طريقة الإسناد أو خروج على المألوف فيه فاحتيج إلى إعمال العقل لإدراك هذا الإسناد الجديد

علاقات المجاز العقلي:

1/**الزمانية:** وهي التي يكون فيها إسناد الفعل أو في ما معناه إلى زمان الفعل، كقوله: (من سرّه زمن ساءته أزمان) فإن إسناد المسرّة والإساءة إلى الزمان مجاز، فحقيقة الأمر أن ما يسر الإنسان أو

يسيئه هو ما يقع فيه من حوادث سارة أو غير سارة، لا الزمان نفسه، لكنها واقعة في هذا الزمان. وكقولنا أيضا: أدركه الوقت، والمقصود أدركنه المشاغل التي تكون فيه، ونبت الربيع، والمقصود العشب الذي ينبت في هذا الفصل، فالعلاقة زمانية، والقرينة حالية

2/ **المكانية**: وهي التي يكون فيها الإسناد مكان الفعل أو ما في معناه، كما في قولنا: زرنا حدبقة غناء، أسندنا الغناء إلى الحديقة وهو للطيور في الحقيقة، لكن مكان الطيور هو هذه الحديقة. وقولنا أيضا: المكان مزدحم، فالازدحام للناس أو الأشخاص الذين بالمكان لذلك نسب إليه مجازا، فالعلاقة مكانية والقرينة حالية.

وكقول الشاعر:

إذا سَقطَ السماءُ بأرض قومٍ رَعَيْناهُ وإِنْ كانوا غِضَابَا

الشاعر أراد بالسماء المطر، لأنها مكانه

3/ **المصدرية**: وفيها يسند الفعل أو ما في معناه إلى مصدر الفعل من لفظه بدلا من فاعله الحقيقي، كما في قولنا: جن جنون الرجل، فالفعل أسند إلى الجنون بدلا من الرجل وهو مصدر هذا الفعل، فهنا مجاز مرسل علاقته المكانية. وقولنا: دارت دورة الدهر، وكقول الشاعر:

سيذكرني قومي إذا جد جدهم وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر

أسند الفعل (جَدَّ) إلى مصدره (جِدُّهُم) وهو في الحقيقة يسند إلى القوم (قومي)، فالعلاقة مصدرية.

4/ **الفاعلية**: وفيه الإسناد إلى اسم المفعول بدل اسم الفاعل، كما في قولنا: ليل مستور، والمقصود ليل ساتر، فما لاسم الفاعل حقيقةً أسند إلى اسم المفعول، ومنه قوله تعالى: ((إنه كان وعده مأتيا))، المقصود: كان وعده آتيا.

5/ **المفعولية**: وفيها الإسناد إلى اسم الفاعل والمراد اسم المفعول)، كما في قولنا: المكان آمن، المراد مأمون. الغرفة مضيئة، المقصود مضاءة، ففي هذين التعبيرين مجاز عقلي علاقته المفعولية لأنه أُسْندَ ما هو لاسم المفعول إلى اسم الفاعل، والعلاقة مفعولية. ومن ذلك قوله تعالى: ((فأما من ثقلت موازينه * فهو في عيشة راضية)) المراد: عيشة مرضية.

6/ **السببية:** وهي إسناد الفعل إلى سببه لا الحقيقي، كقولنا: بنت الحكومة العديد من الجامعات، أسند فعل البناء إلى الحكومة وليس إلى الفاعل الحقيقي وهم العمال الذين قاموا ببناء وتشييد الجامعات حقيقة، إلا الحكومة هي التي أمرت ببنائها فهي سبب في ذلك، لذلك أسند فعل البناء إليها، فالمجاز عقلي والعلاقة سببية.

الدرس السابع: التشبيه وأنواعه

التّشبيه لغة:

هو المماثلة، شابه شيء شيئا ماثله، أي كان مثيلا له، وشبهت الشيء بالشيء جعلته مكانه لما بينمها من المماثلة في صفاته.

أما **اصطلاحا** فقد وردت بشأنه تعريفات كثيرة لكنها متقاربة في مضمونها، وتصبّ في عبارات متقاربة منها:

الدلالة على مشاركة أمر لآخر في المعنى، أو مشاركة شيء لشَيء بصفةٍ أو أكثر، أو كما عرفه القزويني" الدلالة على أمر لأمر في معنى "[71]، وقريب من ذلك أيضا ما نجده من تعريفات في كتب البلاغة منها " إلحاق أمر (المشبه) بأمر (المشبه به) في معنى مشترك (وجه الشبه) بأداة (الكاف وكأن وما في معناهما) لغرض (الفائدة) ... أمّا ابن رشيق فقد عرّفه بأنّه صفة الشّيء بما قاربه وشاكله من جهة واحدة أو جهات كثيرة لا من جميع جهاته؛ لأنّه لو ناسبه مناسبة تامّة لَكان إياه..."[72] ويعرّفه الرمّانيّ بأنّه العقد على أنّ أحد الشيئين يسدّ مسدّ الآخر في حِسّ أو عقل. ورد في تعريفه أيضا وبيان أدواته " التشبيه عند علماء البيان: مشاركة أمر لأمر في معنى، بأدوات معلومة- كقولك* العلم كالنور في الهداية ... فالعلم مشبه والنور مشبه به، والهداية وجه الشبه، والكاف أداة التشبيه، فحينئذ أركان التشبيه أربعة: مشبه ومشبه به ويسميان طرفي التشبيه، ووجه الشبه، وأداة التشبيه (ملفوظة أو محفوظة) "[73]

ومن أمثلته:

-كَأَنَّ قُلوبَ الطَّيرِ رَطبًا وَيابِسًا لَدى وَكرِها العُنّابُ وَالحَشَفُ البالي

- دَانٍ على أيدي العُفاةِ وشَاسِعٌ عن كل نِدٍّ في النَّدَى وضَرِيبِ

كَالبَدْرِ أَفْرَطَ في العُلُوِّ وضَوْؤُهُ لِلعُصْبَةِ السَّارِينَ جِدُّ قَرِيبِ

ففي البيت الأول شبه امرؤ القيس قلوب الطير في رطبها بالعناب وفي ييسها بالحشف البالي، فالمشبه هو قلوب الطير، والمشبه به هو العناب والحشف البالي، ووجه الشبه الرطوبة واليبوسة، وأداة التشبيه هي (كأن)

أما في بيتي البحتري فقد شبه الممدوح بالبدر في العلو والقرب، فكما أن البدر عال وبعيد عن الناس، كذلك الممدوح بعيد في أخلاقه وصفاته عن كل ند ونظير، وكما أن البدر ضوؤه قريب من السراة يهتدون به، كذلك الممدوح قريب من الناس ينتفعون بكرمه وفضله.

ومن فوائد التشبيه البارزة أنه وسيلة لتوضيح المعاني وتقريبها إلى الذهن باختصار وإيجاز، فالعقل يدرك المعاني بتقريبها وإخراجها من الخفاء إلى الجلاء، ومن الغموض إلى الوضح، وكذلك يدرك ما جهل عن طريق مقارنته بما يعلم، فالتشبيه من أكثر أدوات البلاغة تأثيرا وأقواها أداء للمعاني وتوصيلا للأحاسيس، ومن أكثر المباحث علم البيان اهتماما من طرف علماء البيان والبلاغة

أركان التشبيه:

وكما سبق فإن للتشبيه أربعة أركان وهي:

1- **المشبّه** وهو الطرف الأساسي الأول في التشبيه، والأغلب فيه الظهور والذكر، لكنه قد يحذف كما في قول الشاعر:

أسد علي وفي الحروب نعامة تجفل من صفير الصافر

2- **المشبّه به** وهو الطرف الأساسي الثاني في التشبيه ولابد من ظهوره في التشبيه

3- **وجه الشبه** وهو الصفة المشتركة بين المشبه والمشبه به، وتكون في المشبه به أقوى وأوضح مما هي عليه في المشبه، ولذلك يتم عقد التشبيه وتأتي الفائدة منه؛ ففي قولنا: (أنت شبيه البدر في

الحسن) فإن صفة الحسن التي هي وجه الشبه أقوى وأظهر في البدر (المشبه به) مما هي عليه في المشبه (أنت)، ويمكن حذف وجه الشبه، ومن ذلك تترتب بعض أقسام التشبيه

وكما سبق فإن المشبّه والمشبّه به يسميان طَرَفي التّشبيه الأساسيّين؛ لأنّه لا يجوز حذفهما أو حذف أحدهما من أسلوب التشبيه إلا في حالات نادرة

4- **أداة التشبيه:** هي كل لفظ دل على معنى المشابهة وقد تكون:

- حرفًا: وهو الكاف وكأن (أنت كالنجم) (كأنك البدر في الليلة الظلماء)
- اسما: وهي مثل، شِبْه، مشابه، مماثل، وكل ما يأتي في معناها.

(كم وجوه مثل النهار ضياء لنفوس كالليل في الإظلام

- فعلا: وهي شابه، ماثل، ضارع، حاكى، وما في معناها (هذا الرجل يحاكي الأسد شجاعة)

وأداة التشبيه يجوز حذفها إلا أنها تظل في المضمون قائمة، ومن ذلك تترتب أقسام من التشبيه.

والسبب في أن طرفي التشبيه لا يحذفان أن التشبيه لا يظهر كأسلوب إل بذكرها، أما وجه الشبه والأداة فإن حذفهما لا يؤثر في التشبيه كأسلوب، بل إن حذفهما يؤدي إلى وجود صور أخرى من التشبيه.

فإذا قلنا: زيد كالأسد في الشجاعة، من الملاحظ أن "زيد" و "الأسد" هما ركنا التشبيه الأساسيين، حيث لا يُفهم التشبيه إلا بذكرهما في العبارة، لكن ربما حذفت الأداة فيقال زيد أسد في الشجاعة، يبقى التشبيه على حاله، وإذا حذف الوجه يقال زيد كالأسد، فإن التشبيه أيضا يظل على خاله من وقد يحذفان معًا فيقال: زيد أسد، وأيضا يظل التشبيه على حاله من هو تشبيه

أقسام التشبيه:

يُقسم التشبيه بالنظر إلى أداته، وبالنظر إلى وجه الشبه، وبالنظر إلى ذكر الأركان وحذفها كالآتي:

1/ أقسام التشبيه بالنظر إلى أداته هما:

التشبيه المرسل والتشبيه المؤكّد، وغالبًا ما تكون أداة التشبيه هي الكاف.

التشبيه المُرسل: وهو التّشبيه الذي ذكرت فيه الأداة، كما في قوله تعالى:((الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ))

وكما في قول رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "إنَّ المؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا".

وكما في قول الشاعر:

إنما الدنيا كبيت نسجه من عنكبوت

التشبيه المؤكّد: وهو التّشبيه الذي حذفت منه الأداة، حذفت من الذكر لكنّها مقدرة في نفس المتكلم، كما في قوله تعالى: ((وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ)) ، والتشبيه المؤكد أبلغ من المرسل لجعل المشبّه مشبّهًا به من غير واسطة، وأوجز لحذف أداة التشبيه منه، ويعدّ منه ما أضيف فيه المشبّه للمشبه به، كما في قول الشاعر الشريف الرضي:

أَرسى النَسيمُ بِواديكُم وَلا بَرِحَت حَوامِلُ المزنِ في أَجداثِكُم تضع

وكقول آخر:

أنت نجم في رفعة وضياء تحتليك العيون شرقا وغربا

أقسام التشبيه بالنظر إلى وجه الشبه حذفا وذكرا:

إنّ أقسام التشبيه بالنظر إلى وجه الشبه إلى: مفرد، ومفصّل، ومُجمَل، وبليغ

التشبيه المفصّل: هو التشبيه الذي ذكر فيه وجه الشبه، مثال ذلك قول المتنبي:

فَتىً كَالسَحابِ الجونِ يُخشى وَيُرتَجى يُرَجّى الحَيا مِنها وَتُخشى الصَواعِقُ

التشبيه المفرد: وهو التشبيه الذي يأتي فيه طرفا التشبيه ووجه الشبه لفظًا مفردًا، مثل قول:

وجهها كالبدر في الضياء.

التشبيه المجمل: وهو التشبيه الذي لم يذكر فيه وجه الشبه، كما في قوله تعالى:

((وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ * فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ * يَا مُوسَىٰ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ * إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ)).

أما باعتبارهما معا:

تشبيه مؤكد مفصل: أنت شمس في الضياء

تشبيه مرسل مجمل: أنت كالشمس

تشبيه بليغ: وهو ما حذفت فيه الأداة ووجه الشبه، كما في قول الشاعر:

فإنك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

فقد حذفت الأداة وكذلك وجه الشبه منى هذا التشبيه، ويعد هذا التشبيه أبلغ أنواع التشبيه لإدعاء أن المشبه هو المشبه به

أقسام التشبيه بالنظر إلى وجه الشبه باعتباره صفة أو صورة منتزعة من متعدد

تشبيه غير تمثيلي وتشبيه تمثيل

التمثيل: فرق البلاغيون بين التشبيه والتمثيل، فقالوا: "كل تمثيل تشبيه وليس كل تشبيه تمثيل"، والتشبيه على ذلك ضربان:

تشبيه غير تمثيل: وهو ما كان وجه الشبه فيه أمرًا بيّنًا بنفسه لا يحتاج إلى تأويل لأنّ الطرفين فيه يشتركان بصفة ظاهرة مثل تشبيه القد اللطيف في لطافته ومرونته بالغصن،(القد كالغصن لينا) والرجل القوي بالأسد (محمد كالأسد في الشجاعة)، فالصفة مفردة واضحة بينة

التشبيه التمثيلي: وهو ما كان وجه الشبه فيه منتزعًا من متعدد، كقول الشاعر:

وما المرء إلا كالهلال وضوئه يوافي تمام الشهر ثم يغيب

فالشاعر لم يشبه المرء بالهلال في صفة محددة، وإنما شبهه بالهلال في سرعة الفناء وحتميته وكون وجه الشبه من أحوال الهلال المتعددة، وهذا معنى صورة منتزعة من متعدد

وكما في قوله تعالى: ((مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ * وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ * وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)) فوجه الشبه ليس صفة مفردة، وإنما صورة منتزعة من متعدد أيضا. وكقوله تعالى أيضا: ((مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون))

أقسام أخرى للتشبيه:

التشبيه الضمني: هو التّشبيه الذي لا تذكر فيه أركان التشبيه بشكل صريح وبالطريقة المعلومة وإنما تلمح من السياق ويتم التلميح لها ضمنيا، لذلك سمّي ضمنيًّا، وهذا التشبيه يأتي في أعقاب الكلام –غالبا– من أجل إقناع المخاطب أو القارئ، بفكرة من المتكلم أو الكاتب، ومثال ذلك في قول المتنبي:

مَن يَهُن يَسهُلِ الهَوانُ عَلَيهِ ما لِجُرحٍ بِمَيِّتٍ إيلامُ

فقد شبه الشاعر الشخص الذليل الذي اعتاد الهوان بالميت، فكما أن الميت لا يشعر بالألم لأنه فقد الأحاسيس، كذلك هدا الشخص لا يشعر بالإهانة لأنه اعتادها، لكن الشاعر لم يضع أركان التشبيه على الطريقة المعروفة بل نحن استنتجنا ذلك من خلال السياق.

ومثاله أيضا قول الشاعر:

عَلَا فما يَستقِرُّ المالُ في يدِه وكَيفَ تُمسكُ الماءَ قُنَّةُ الجَبلِ

التشبيه المقلوب: هو القَلْب بين المشبّه والمشبّه به، والغرض منه المبالغة وادّعاء أنّ وجه الشبه في المشبّه أقوى وأظهر لذلك قَلَبه، لأنّ من قواعد التشبيه أن تكون الصفة في المشبّه به أظهر منها في المشبّه، وهنا صار المشبّه مشبّهًا به، ومثاله قول الشاعر:

بَدَا الصبحُ كأَنَّ غُرَّتَهُ وجهُ الخليفةِ حينَ يُمتدَحُ

فقد شبه الشاعر غرة الصبح أي بدايته بوجه الخليفة حين يمدح ووجه الشبه هو الاشراق والوضاءة، نلاحظ بأنها قد عكس وضع المشبه والمشبه به فجعل المشبه به في مكان المشبه والمشبه في مكان المشبه به، وهذا من باب المبالغة،. ومن ذلك أيضا قول الشاعر:

وَذَاتِ دَلٍّ كأنَّ البدرَ صُورَتُهَا بَاتَتْ تُغَنِّي عَمِيدَ القَلْبِ سَكْرَانَا

الدرس الثامن: الاستعارة والكناية

أولا: الاستعارة

الاستعارة لغةً هي رفعُ الشيء وتحويله من مكان إلى آخر، كأن يُقال: استعرتُ من فلان شيئاً، أي حوَّلتُه من يده إلى يدي، ونقول أيضا: استعار المال إذا طلبه عارية.

أمّا اصطلاحاً، فهي من مباحث البلاغة المتعلِّقة بعلم البيان أحد فروع علم البلاغة، والتي عرّفها كثير من الأدباء والبلغاء، كالجاحظ والجرجاني، والعسكري، وغيرهم، وكلّ أقوالهم في ما يتعلّق فيها تتلخّص في أنَّها استعمال كلمة أو معنى لغير ما وُضِعت به أو جاءت له لوجود شبه بين الكمتين؛ وذلك بهدف التوسُّع في الكلام، وهي تقوم على أساس التشبيه، وهي أيضا منى المجاز اللغوي " هي استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة بين المعنى المنقول والمعنى المستعمل فيه، مع قرينة صارفة عن إرادة المعنى الأصلي، والاستعارة ليست إلا تشبيها مختصرا، لكنها أبلغ منه"[74] فقولنا مثلا: رأيت أسدا في الجامعة، أصل الكلام رأيت رجلا شجاعا كالأسد في الجامعة، فمن حيث المجاز استعرنا لفظ الأسد لنعبر به عن معنى الشجاعة الموجودة في الأسد والعلاقة هي المشابهة، والقرينة هي (في الجامعة)، وهي أيضا تشبيه مختصر حذف فيه المشبه(رجلا) والأداة (الكاف) ووجه الشبه (الشجاعة)، ونظرا لإمكان إرادة المعنى الأصلي فإنه جيء بقرينة وهي عبارة (.في الجامعة).

وكقول الشاعر:

وإذا المنيّة أنشبت أظفارها ألفيت كل تميمة لا تنفع

إذ إنّ كلمة المنيّة التي تعني الموت ليس لها أظافر يمكن أن تنشبها، معنى ذلك أن الشاعر شبه الموت بوحش كاسر ثم حذف هذا المشبه به لكنه أبقى على ما يدل عليه وهي (أظفارها) والقرينة حالية لأن العقل يعرف بشكل بديهي أن الموت ليس له أظافر وبالتالي فالمعنى مجازي والمعنى الحقيقي غير مقصود.

وتعد الاستعارة من أهم الأساليب البلاغية والفنون الأدبية، وقد عبر عن ذلك عبد القاهر الجرجاني" اعلم أن الاستعارة ... أمدُّ ميدانا وأشد افتنانا وأكثر جريانا وأعجب حسنا وإحسانا وأوسع سعة

وأبعد غورا وأذهب نجدا في الصناعة وغورا من أن تجمع شعبها وشعوبها وتحصر فنونها وضروبها، ومن خصائصها أنها تعطيك الكثير من من المعاني حتى تخرج من الصدفة الواحدة عدة من الدرر، وتجني من الغصن الواحد أنواعا من الثمر، ...إن شئت أرتك المعاني التي هي من خبايا العقل كأنها قد جسمت حتى رأتها العيون، وإن شئت لطفت الأوصاف الجسمانية حتى تعود روحانية لا تنالها الظنون"[75]

– **أركان الاستعارة**: الاستعارة نوع من المجاز اللغويّ في علم البلاغة القائم على علاقة المشابهة، وهده الأركان هي:

1/ المستعار منه: المعنى الأصلي الذي وُضعَت له اللفظ أولاً، وهو المشبَّه به.

2/ المستعار له: المعنى الفرعي الذي لم يوضَع له اللفظ أولاً وهو المشبَّه.

ويقال عنها طرفا الاستعارة كما في التشبيه

3/ الجامع: ، أو هو وجه الشَّبَه أو العلاقة بينهما.

4/ المستعار: وهو اللفظ المنقول (أو المشبه به)

4/ القرينة: هي التي تمنع من إرادة المعنى الحقيقيّ فتغيره، وهي إمّا لفظيّة وإمّا حاليّة تُبيّن الحال، ومثال البيت السابق

وإذا المنِيّة أنشبَت أظفارَها ألفيت كلَّ تميمة لا تنفعُ

شبّه الشاعر المنِيّة بحيوان مُفترِس له أظافر، وقد حذف المشبَّه به هنا، والقرينة تمثلت في إثبات الأظافر للمَنِيّة،

المستعار منه (المشبه به): الحيون المفترس

المستعار له (المشبه): المنية

المستعار: (الحيوان أيضا وإن كان محذوفا)

الجامع (وجه الشبه): شكة البطش والتمكن

القرينة: حالية

ومن أشهر ما ذُكر في الاستعارة من القرآن الكريم من استعارات: (وَاشتَعَلَ الرَّأسُ شَيبًا)، فالمستعار منه "المشبه به" هو النار، والمستعار له "المشبه" هو الشَّيب، والمستعار "وجه الشبه بينهما" هو فعل الاشتعال.

– أنواع الاستعارة

الاستعارة من حيث ذكر أحد طرفيها

تُقسَم الاستعارة من حيث ذكر أحد طرفيها إلى:

استعارة تصريحيّة: هي ما ذُكر فيها أو صُرِّح فيها بلفظ المشبَّه به، ومثاله قول الله تعالى:

((كِتابٌ أَنزَلناهُ إِلَيكَ لِتُخرِجَ النّاسَ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النّورِ))

فهنا كلمتا الظُّلُمات والنور جاءتا لتدلّا على الضّلال والنور، وهنا جاء المشبَّه به واضحا إذ صرح به لذا هي هنا تسمى استعارة تصريحيّة، والقرينة حاليّة لأنّها تُفهم من المعنى والسياق

وكقول المتنبي أيضًا في وصف سيف الدولة:

وأقبل يمشي في البساط فما درى إلى البحر يسعى أم إلى البدر يرتقي

ففي هذا البيت استُعِيرت لفظتا البحر والبدر (وهما المشبه به)، لتدلّا على كرم سيف الدولة ورفعته (وهو المشبه)، فالمشبه به أيضًا واضح مصرح به، أو بعبارة أخرى شبه سيف الدولة بالبحر في الكرم وبالبدر في في رفعة الشأن ، وقد حذف المشبه وصرح بالمشبه به

استعارة مكنيّة: هي التي حُذِف فيها المشبَّه به ورُمز له بشيء من لوازمه، كقول الشاعر:

لا تعجبي يا سلم من رجل ضحك المشيب برأسه فبكى

شبه الشاعر هنا المشيب أي (الشَّيب) بإنسان يضحك، وقد حذف المستعار منه (وهو المشبّه به الإنسان)، ورمز إليه بأمر من لوازم الإنسان أي يرتبط بالإنسان وهو (الضحك).

مثال2: يقول الحجاج بن يوسف:" وإني لأرى رؤوسا قد أينعت وحان قطافها" شبه الحجاج رؤوس مخاطبيه بالثمار اليانعة ثم حذف المشبه به وأبقى على إحدى خصائصه وهي (الإيناع)، فالمستعار منه هو الثمار، والمستعار له الرؤوس، والجامع الاستدارة والارتفاع ويمكن فصلها

الاستعارة من حيث اللفظ المستعار

يقسِّم البلغاء الاستعارة أيضاً من حيث لفظها إلى:

استعارة أصليّة: أي أن يكون اللفظ المستعار اسماً جامداً غير مشتق، كالبدر إذا استعير للجميل أو البحر إذا استعير للرجل الكريم أو كما في قول الشاعر:

عضَّنَا الدهر بنابه ليتَ ما حلَّ بنابِهْ

شبه الشاعر هنا الدهر بحيوان مُفترِس، ثم حذف المشبَّه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو العضّ، والدهر اسم جامد.

استعارة تبعيّة: هي أن يكون اللفظ المستعار اسماً مشتقّاً، أو فعلاً مثل قول الله تعالى: (وَلَمّا سَكَتَ عَن موسَى الغَضَبُ)، فلفظة (سكت) مستعارة وهي كما نرى فعل، وهي بدل كلمة انتهى، وقد شُبِّه الغضب بإنسان، ثمّ حُذِف المشبَّه به وهو الإنسان، وقد رُمز إليه بشيء من لوازمه وهو السكوت.

إجراء الاستعارة: يُقصَد بإجراء الاستعارة تحليلها إلى عناصرها الأساسيّة التي تتألّف منها، ويشمل ذلك تحديد المشبَّه، والمشبَّه به في الاستعارة، ووجه الشَّبه، أو الصفة التي تجمع بين طرفي التشبيه (المشبَّه والمشبَّه به)، ونوع الاستعارة، وكذلك نوع القرينة التي تمنع من وصول المعنى الحقيقيّ، والمثال الآتي يوضِّح عناصر الاستعارة؛ إذ يقول ابن المعتز:

جُمِع الحقّ لنا في إمام قتل البخل وأحيا السماحا

في البيت استعارتان: الأولى في قتل البخل؛ حيث شُبِّهت كلُّ مظاهر البخل (وهي المشبَّه)، بالقتل (وهو المشبَّه به)، يجمع بينهما الزّوال، أما القرينة فهي البخل، والاستعارة تصريحيّة؛ حيث إنّ المشبَّه به وهو القتل، مُصرَّحٌ به، أمّا الاستعارة الثانية ففي عبارة "أحيا السماحا"؛ حيث شُبِّه تجديد ما تلاشى من عادة الكرم (وهو المشبَّه)، بالإحياء الذي هو (المشبَّه به)، لوجه الشبه في الإحياء بعد العدم، والقرينة لفظيّة في كلمة السماحا؛ ولأنّ المشبَّه به وهو الإحياء مُصرَّح به، فالاستعارة تصريحيّة.

وللبلاغيين تقسيمات أخرى عديدة لا يتسع المقام لإيرادها كلها، فلينظر إليها في مظانها.

ثانيا: الكناية

لغة: هي ما يتكلم به الإنسان ويريد غيره، وهي مصدر (كنيت وكنوت بكذا) أي تركت التصريح، وكنى عن الأمر بغيره كنايةً إذا تكلم بغيره مما يدل عليه[76]، فالكناية إيماء وإيحاء بالشيء دون ذكره صراحة

واصطلاحًا: لفظ أطلق وأريد به غير معناه الذي وُضع له، مع جواز إرادة المعنى الأصلي أو لفظ أطلق وأريد به لازم معناه مع قرينة لا تمنع من إرادة المعنى الأصلي"[77]

نحو: «زيد طويل النجاد» تريد بهذا التركيب أنه شجاع عظيم، فعدلت عن التصريح بهذه الصفة إلى الإشارة إليها بشيء تترتب عليه وتلزمه؛ لأنه يلزم من طول حمالة السيف طول صاحبه، ويلزم من طول الجسم الشجاعة عادة، فإذًا المراد طول قامته، وإن لم يكن له نجاد، ومع ذلك يصح أن يراد المعنى الحقيقي.

والفرق بين الكناية والمجاز هو جواز إرادة المعنى الأصلي في الكناية أما في المجاز فلا يراد المعنى الأصلي.

وتنقسم الكناية بحسب المعنى الذي تُشير إليه إلى ثلاثة أقسام:

1/ **كناية عن صفة:** وهي التي يكون فيها المعنى المكني عنه صفة

كما تقول: هو كثير الرماد كناية عن صفة الكرم، وتعرف كناية الصفة بذكر الموصوف — ملفوظًا أو ملحوظًا — من سياق الكلام. ومن أمثلتها:

كَمْ نَبَتْ أَسْيافُنَا في ملعبٍ وكم كَبَتْ جِيادُنَا في مَلعبٍ

وهي كناية عن الخيبة والانتكاسة وهما صفتان كمت نرى

2/ **كناية عن موصوف:** وهي التي يكون المكني عنه موصوفا أي ذاتًا

كما تقول: (أحب بلاد النيل) نكني بها عن المصريين و(مدينة النور) يكنى بها عن باريس، ومنها قولهم: (تستغني مصر عن مصب النيل ولا تستغني عن منبعه) كنَّوا بمنبع النيل عن أرض السودان. وكذلك (زرت بلاد الرافدين) أي العراق،

ومنها قولهم: (هو حارس على ماله) كنوا به عن البخيل الذي يجمع ماله، ولا ينتفع به

ومنها أيضا قول الشاعر:

قوم ترى أرماحهم يوم الوغى مشغوفة بمواطن الكتمان

في عبارة (مواطن الكتمان) كناية القلوب

وأيضا:

سيعلم الجمع ممن ضم مجلسنا بأنني خير من تسعى به قدم

في عبارة (تسعى به قدم) كناية عن الانسان وقد أراد أن خير الناس

3/ كناية عن نسبه: وهي التي تكون فيها الصفة منسوبة لشيء آخر له علاقة بالموصوف، أي أن لفظها يستلزم نسبة بين الصفة وصاحبها المذكورين في اللفظ، وهي تختلف عن النوعين السابقين بأن المعنى الأصلي فيها غير مراد وغير جائز، كما يصرح فيها بالصفة المراد إثباتها للموصوف، وإن كانت في اللفظ يوصف بها ماله علاقة به وليس له مباشرة

من أمثلتها قول الشاعر:

فما جازه جود ولا حل دونه ولكن يسير الجود حيث يسير

فقد نسب الجود إلى شيء متصل بالممدوح وهو المكان الذي يوجد فيه ذلك الممدوح (يسير الجود حيث يسير)

ومثالها أيضا:

إن المروءة والسماحة والندى في قبة ضربت على ابن الحشرج

نسب الشاعر المروءة والسماحة والندى إلى قبة ابن الحشرج وقد أراده هو بذلك

فالقسم الأول: وهو الكناية التي يطلب بها «صفة» هي ما كان المكنى عنه فيها صفة ملازمة لموصوف مذكور في الكلام.

وهي نوعان:

(أ) **كناية قريبة:** وهي ما يكون الانتقال فيها إلى المطلوب بغير واسطة بين المعنى المنتقل عنه والمعنى المنتقل إليه، نحو قول الخنساء في رثاء أخيها صخر:

رفيع العماد طويل النجاد ساد عشيرته أمردا

(ب) **وكناية بعيدة:** وهي ما يكون الانتقال فيها إلى المطلوب بواسطة أو بوسائط، نحو: «فلان كثير الرماد» كناية عن الكرم. والوسائط: هي الانتقال من كثرة الرماد إلى كثرة الإحراق، ومنها إلى كثرة الطبخ والخبز، ومنها إلى كثرة الضيوف، ومنها إلى المطلوب وهو المِضياف الكريم.

وتنقسم الكناية أيضًا باعتبار الوسائط «اللوازم» والسياق إلى أربعة أقسام: تعريض، وتلويح، ورمز، وإيماء.

1/ التعريض

لغة: خلاف التصريح.

واصطلاحًا: هو أن يطلق الكلام، ويُشار به إلى معنًى آخر يفهم من السياق، نحو: قولك للمؤذي: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده» تعريضًا بنفي صفة الإسلام عن المؤذي.

وكقول الشاعر:

إذا الجود لم يرزق خلاصًا من الأذى فلا الحمد مكسوبًا ولا المال باقيا

في البيت تعريض بمن يتبع جوده وكرمه بالأذى

2/ التلويح

لغة: أن تشير إلى غيرك من بعد.

واصطلاحًا: هو الذي كثرت وسائطه بلا تعريض، نحو:

وما يكُ فيَّ من عيبٍ فإني جبانُ الكلب مَهزولُ الفصيلِ

كنى عن كرم الممدوح بكونه جبان الكلب، مهزول الفصيل، فإنَّ الفكر ينتقل إلى جملة وسائط.

4/ **والرمز لغة**: أن تشير إلى قريب منك خفية بنحو شفة أو حاجب.

واصطلاحًا: هو الذي قلَّت وسائطه، مع خفاء في اللزوم بلا تعريض، نحو: (فلان عريض القفا، أو عريض الوسادة) كناية عن بلادته وبلاهته، ونحو: (هو مكتنز اللحم) كناية عن شجاعته، و(متناسب الأعضاء) كناية عن ذكائه، ونحو: (غليظ الكبد) كناية عن القسوة؛ وهلم جرًّا.

والكناية من ألطف أساليب البلاغة وأدقها، وهي أبلغ من الحقيقة والتصريح؛ لأن الانتقال فيها يكون من الملزوم إلى اللازم، فهو كالدعوى ببينة، فكأنك تقول في: «زيد كثير الرماد» زيد كريم؛ لأنه كثير الرماد، وكثرته تستلزم كذا ... إلخ.

كيف لا وأنها تمكن الإنسان من التعبير عن أمور كثيرة، يتحاشى الإفصاح بذكرها، إما احترامًا للمخاطب أو للإبهام على السامعين، أو للنيل من خصمه، دون أن يدع له سبيلًا عليه، أو لتنزيه الأذن عما تنبو عن سماعه، ونحو ذلك من الأغراض واللطائف البلاغية.

هذا؛ ومن أوضح مميزات الكناية التعبير عن القبيح بما تسيغ الآذان سماعه، وأمثلة ذلك كثيرة جدًّا في القرآن الكريم وكلام العرب؛ فقد كانوا لا يعبرون عما لا يحسن ذكره إلا بالكناية، وكانوا لشدة نخوتهم يكنون عن المرأة بـ «البيضة، والشاة».

ومن بدائع الكنايات قول بعض العرب:

- ألا يا نخلة من ذات عرق عليك السلام ورحمة الله

فإنه كنى بالنخلة عن المرأة التي يحبها.

- ألقى عصاه: كناية عن الإقامة وترك الرحيل
- عض أصابعه: كناية عن الندم
- بابه مفتوح: كناية عن الكرم وحسن الاستقبال
- ذمته واسعة: كناية عن غياب الضمير والوقوع في المحرمات
- قلع أسنانه: كناية عن الحنكة وكثرة الت

الدرس التاسع: الطباق والمقابلة

البديع لغة هو الجديد أو المخترع الذي ليس له مثال سابق، نقول: بدع الشيء وأبدعه أي أخترعه.

أما اصطلاحا: وهو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة ووضوح الدلالة"[78] ويقصد بذلك أنه العلم الذي تبحث فيه الأساليب والأشكال اللغوية التي تحسن الكلام وتزينه وتجعله مقبولا ومحل إعجاب من النتلقي، وذلك بعد مراعاة مقتضى الحال ووضوح الدلالة، حتى لا يكون هذا التحسين مطلوبا لذاته فيفسد بلاغة الكلام وفصاحته.

وهو أحد فروع علم البلاعة، والمحسنات التي يتناولها تنقسم إلى قسمين: محسنات لفظية ومحسنات معنوية

– المحسنات اللفظية: وهي التي يكون التّحسين فيها راجعًا أصالة إلى اللّفظ وإن حسّنت المعنى أحيانًا، كالجناس في قوله تعالى: ((وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ))، فالسّاعة الأولى يوم القيامة والسّاعة الثّانية واحدة السّاعات الزّمانيّة، والمحسّنات اللّفظية كثيرةٌ منها: الجناسُ، والسّجعُ، والموازنة، والتّرصيع، والتّصريع، وردّ العجزِ على الصّدر، وما لا يستحيل بالانعكاس، والاقتباس والتّضمين، وغيرها

– المحسنات المعنوية: وهي التي يكون التحسين فيها راجعا إلى تحسين إلى المعنى بشكل أساسي، وإن أدى إلى تحسين اللفظ أحيانا في الوقت نفسه، من ذلك: الطباق ((يعلك ما يسرون وما يعلنون))، والمقابلة، والمشاكلة والاستطراد والعكس، الجمع التفريق، اللف والنشر، التجريد، المبالغة، التورية، تأكيد المدح بما يشبه الذم، الإدماج، التوجيه، تجاهل العارف، حسن التعليل، وغيرها.

أولا: الطباق

الطّباق:

لغة: طابَقَ الشّيءَ على الشّيءِ مُطَابقةً وطباقاً، أي: جعله مطبقًا عليه، وفي لسان العرب: تطابق الشيئان تساويا، والمطابقة الموافقة، والتطابق الاتفاق، وطابقت بين شيئين إذا جعلتهما على حذو واحد وألزقتهما[79].

أما اصطلاحا: الطّباق هو الجمع بين معنيين متقابلين، أي بين الكلمة وضدّها أو بين المعنى وضدّه، سواء أكان ذلك التقابل تقابل التضاد أو الإيجاب والسلب أو العدم والملك، وما شابه ذلك، وسواء أكان ذلك المعنى حقيقيا أو مجازيا[80].

وقد يكون بين اسمين، نحو: ((هو الأول والآخر))، ((وتحسبهم أيقاظا))، أو بين فعلين ((وأنه هو أضحك وأبكى))، ((ثم لا يموت فيها ولا يحيى))، أوبين حرفين ((ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف))، أو بين مختلفين ((ومن يضلل الله فما له من هاد)) ، ((من كان ميتا فأحييناه))

يقسم الطباق أيضا إلى طباق إيجاب وطباق سلب:

– **طباق الإيجاب**: وهو ما لم يختلف فيه الضدان إيجابا وسلبا ، نحو ((قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك من تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء ...))

فالطباق بين (تؤتي وتنزع) و(تعز وتذل)

ومثاله أيضا قوله تعالى: {وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ}أو بين فعلين متضادين، نحو قوله تعالى: ((وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى)) و قوله تعالى: {لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ} فالجمع بين حرفيّ الجر" اللّام وعلى" مطابقة ، لأنّ في" اللّام" معنى المنفعة وفي "على" معنى المضرّة وهما متضادانِ، أي: للنّفس ثواب ما كسبته من الطّاعات، وعليها عقاب ما اقترفته من المعاصي، و نحو قوله تعالى: ((أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ))، وهنا أحد المتضادين اسم وهو" ميتاً" والآخر فعل وهو "أحييناه".

طباق السلب: وهو ما اختلف فيه الضدان إيجابا وسلبا، ومعنى ذلك أن هذا النوع يتم بين الكلمة وضدها عن طريق نفيها نحو: ((قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون)) ونحو: ((تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك)) فالطباق بين بين فعلين أحدهما مثبت والأخر منفي، ومثاله أيضا ما في قوله تعالى : ((يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلاَ يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللّهِ))، ((لاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً))

يلحق بالطباق ما بني على المضادة تأويلا أن التضاد بين اللفظين ليس مباشرا أو ظاهرا، ففي قوله تعالى: ((يغفر لمن يشاء ويعذب لمن يشاء))، فالمغفرة ليست ضدا للعذاب إلا من باب التأويل،

ومثلها أيضا قوله تعالى: ((محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم)) فالشدة ليست ضدا للرحمة إلا من باب التأويل والتقريب.

وللطّباق فوائد منها توكيد المعنى وتوضيحه، إذ إن وروده في كلام من شأنه يزيده وضوحا وبروزا ويتأكد فيه المعنى بشكل قوي، وقد قيل: إن الأشياء تزداد وضوحا بأضدادها

ثانيا: المقابلة

المقابلة: هي أن يأتي المتكلم في كلامه بمعنيين متوافقين أو أكثر ليس بينهما تضاد، ثم يأتي بما يقابل ذلك على الترتيب.

مثل قوله تعالى: ((فليضحكوا قليلا، وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون)).

أتى الله سبحانه وتعالى في هذه الآية بمعنيين "يضحكوا" و "قليلا" وهما معنيان متوافقان أي ليس بينهما تضاد ثم أتى بعد ذلك بما يقابلهما على الترتيب بقوله "وليبكوا" و "كثيرا".، وكقوله تعالى: ((فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى))، فقد أتى بمعنين أعطى واتقى ثم أتي بمعنيين مقابلين لهما بخل مقابل أعطى، واستغنى مقابل استغنى.

ومن ذلك أبضا قول النبي – صلى الله عليه وسلم – (إنكم لتكثرون عند الفزع وتقلون عن الطمع)) ، ويقول الشاعر:

ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا وأقبح الكفر والإفلاس بالرجل

أنواع المقابلة:

تأتي المقابلة على 4 أنواع وذلك بحسب عدد المعاني المتقابلة

مقابلة اثنين باثنين:

مثاله قول الحكيم: (ليس له صديق في السر ولا عدو في العلانية)

فالمقابلة بين صديق وعدو، وبين السر والعلانية)

مقابلة ثلاثة بثلاثة:

مثل قوله تعالى: (ويحل لهم الطيبات، ويحرم عليهم الخبائث).

المقابلة بين(يحل و يحرم) و(الطيبات والخبائث)، (ولهم وعليهم)

مقابلة أربعة بأربعة:

مثال: قوله تعالى: ((فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى))

المقابلة بين (أعطى وبخل)، (استغنى واتقى) وبين (صدق وكذب) وبين اليسرى والعسرة

مقابلة خمسة بخمسة:

مثالها قول أبي الطيب المتنبي:

أَزُورُهُمْ وَسَوَادُ الليلِ يَشْفَعُ لِي وأَنْثَنِي وَبَيَاضُ الصبْحِ يُغْرِي بِي

فالمقابلة في هذا البيت بين (أزورهم وأنثني) و(سواد وبياض) و (الليل والصبح) و (يغري ويشفع) و (لي وبي)

مقابلة ستة بستة

مثالها قول الشاعر:

وعلى رأْسِ عبدٍ تاجُ عِزٍّ يَزِينُهُ وفي رِجلِ حُرٍ قَيْدُ ذُلٍّ يَشِينُهُ

المقابلة بين (على وفي) و (رأس ورجل) و (عبد وحر) و (عز وذل) و (يزينه ويشينه)

الفرق بين والطباق والمقابلة:

- الطباق لا يكون إلا بين معنيين (المعنى وضده) بينما المقابلة تكون بين أكثر من معنيين (الاتيان بمعنيين ثم الاتيان بمعنيين يقابلانهما، وقد يصل الجمع في المقابلة إلى اثني عشرة معنى ستة تقابلها ستة

الطباق لا يكون إلا بالأضداد بينما المقابلة تكون بالأضداد وغير الأضداد

القيمة الفنية للطباق والمقابلة

يعدّ الطّباق والمقابلة مصدر الجمال من خلال إثارة الانتباه إلى الفكرة، وإيقاظ الشّعور للموازنة بين الشّيء وضدّه، وفي ذلك يتحقّق الإمتاع الفنيّ، ويتمّ إيضاح المعنى وتوكيده، ويستقرّ في النّفوس، كما يزداد به الأسلوب جمالاً ووضوحًا، فمن الطّباق المقابلة، وهي الجمع بين متوافقين فأكثر ثمّ ما يقابلهما على التّرتيب، نحو قوله تعالى: ((وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظاً وَهُمْ رُقُودٌ)).وقوله تعالى: ((تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ)).

ونحو قول الشّاعر:

مَا أَحْسَنَ الدِّينَ وَالدُّنْيَا إِذَا اجْتَمَعَا وَأَقْبَحَ الْكُفْرَ وَالإِفْلاَسَ بِالرَّجُلِ

وذكر الشّيء ومقابله يعطي الكلام حسنًا، ويوسّعُ نطاق المعرفة في التّعليم، ومن ثمّ القدرة على التّمييز بين الخطأ والصّواب، وبضدّها تتمايز الأشياء، وهذا ممّا يحقّق الإشباع في التّعلّم، والقضاء على المعرفة المبتورة، ممّا يوفّر ثقافة معيّنة تكون أكثر تأثيرًا في التّعبير القويم، والنّطق السّليم، يرتقي به وبصورة خاصّة إلى درجة تذوّق المعاني تذوقًا جماليًّا.

الدرس العاشر: الجناس

سبق أن أشرنا المحسنات البديعية منها ما يتعلق بالمعنى ومنها ما يتعلق باللفظ أي يقع تحسينه على اللفظ بشكل أساس وإن كان ذلك لا يعني أنها لا أثر في المعنى، ومن هذه المحسنات الفظية: الجناس والسجع

- **أولا: الجناس:** ويطلق عليه بعض علماء البلاغة اسم التجنيس

لغة: هو المشاكلة، والاتحاد في الجنس، يُقال: جانَسهُ، إذا شاكله، واشترك معه في جِنْسه، وجنسُ الشيء أصله الذي اشْتُقَّ منه.

أما الجناسُ في **الاصطلاح**: يعرفه السكاكي: (هو تشابه الكلمتين في اللفظ)[81]، ويعرفه كثير من البلاغيين تعريفات قريبة من هذا، ويمكن أن نقول "هو أن يتشابه اللَّفْظانِ في النطقِ وأن يختلفا في المعنى"[82]. نحو:

لَمْ نلقَ غيرَكَ إِنْسَانًا يُلاذُ بِهِ فَلَا بَرِحْتَ لِعَيْنِ الدَّهْرِ إِنْسَانَا

فكلمة (إنسان) وردت مرتين بمعنيين مختلفين؛ المعنى الأول الإنسان واحد الناس، والمعنى الثاني: إنسان العين.

ومن أمثلته أيضا:

فَدَارِهِمْ ما دُمتَ في دَارِهِمْ وأَرْضِهِمْ ما دمتَ في أَرْضِهم

ففي هذا البيت جناسان، الأول: (دارهم – دارهم) الأولى منى المداراة أي إخفاء الأمر، والثانية بمعنى الدار، أما الجناس الثاني فهو بين (أرضهم – أرضهم)، الأولى من الرضا، والثانية بمعنى الأرض.

ومن مميزات الجناس في اللغة العربية أنه فنٌ يوهم القارئ أوّلًا بتكرار الكلمة، لكنه يفاجئه فيما بعد باختلاف المعنى مع تشابه اللفظ، ولذلك هو من المحسنات اللفظية إذ إنه يعتمد على التحسين في الكلمات من ناحية اللفظ.

ومن أسماء الجناس أيضا: التجنيس والمجانسة والتجانس، ولا يحسن الجناس إلا إذا لم يخل بالمعنى وجاء عفوا دون تكلف، وإذا كان كذلك استحسنه السامع لأنه يحد اتفاقا في اللفظ واختلافا في المعنى

– أنواع الجناس:

أمّا عن أنواع الجناس في اللغة العربية فهي تقسم إلى نوعين، وتحت كل نوع يوجد فروع ومسميات عدة تفنن علماء البلاغة في تسميتها وتوضيحها ذاكرين من الشواهد عليها ما يزيدها تفصيلًا ووضوحًا، ونوعا الجناس هما: التام، والناقص

– الجناس التام هو أن يتفق اللفظان في أربعة أمور بالإضافة الى الاختلاف في المعنى، وهذه الأمور هي:

هيئة الحروف أو شكلها

ونوعها

وعددها

ترتيبها

ومعنى هيئة الحروف: الحركات "فتحة، ضمة، كسرة، سكون"،أما نوع الحروف فيقصد به نوع الحرف (باء أو جيم أو عين،...) والعدد أي أن تكون الكلمتان متجانستين في عدد الحروف (أربعة أربعة أو خمسة خمسة ...) والترتيب أن يكون ترتيب حروف الكلمتين متجانسًا، فإذا ما تحققت هذه الشروط الأربعة مجتمعةً إضافة إلى اختلاف المعنى قيل إن الجناس بين الكلمتين هو جناس تامّ، مثاله ما ورد في البيتين السابقين، وأيضا: ((يوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة))، فالجناس بين (ساعة وساعة)، الأولى يوم القيامة والثانية وقت معلوم ليس طويلا، وهو جناس تام تحققت فيه الشروط الأربعة.

الجناس الناقص: وهو ما اختلف فيه اللفظان المتجانسان في واحد من الأمور الأربعة، فعندما ينقص شرط من شروط الجناس التام يكون الجناس ناقصًا؛ أي غير تام، وهذا يعني أنه اختلاف اللفظتين في نوع الحروف أو عددها أو ترتيبها أو هيئتها إضافة إلى اختلاف المعنى، ولكل شرطٍ عندما يختلّ اسم خاص به

مثال الجناس الناقص الواقع في هيئة الحروف، قوله تعالى: ((ولقد أرسلنا فيهم منذرين* فانظر كيف كان عاقبة المنذرين))، فالاختلاف واقع في هيئة الحروف وحركاتها (كسر الراء وفتحها) ويُسمى الجناس المحرَّف،

ومثال الجناس الناقص الواقع في نوع الحروف، قوله تعالى: ((وهم ينهون عنه وينأون عنه)) ((ويل لكل همزة لمزة))، فالاختلاف واقع في نوع الحروف (الهاء والهمزة في الجناس الأول)، و (والهاء واللام في الجناس الأول)، ويسمى هذا النوع بالجناس المضارع.

ومثال الجناس الناقص الواقع في ترتيب الحروف، (حسامه فتح لأوليائه حتف لأعدائه) 'فتح –حتف '

(رحم الله امرأً أمسك ما بين فكيه وأطلق ما بين كفيه) ' فكيه– كفيه ' ويسمى بجناس القلب

ومثال الجناس الناقص الواقع في عدد الحروف، (دوام الحال من المحال) ' الحال– المحال ' ، ((التفت الساق بالساق* إلى ربك يومئذ المساق)) ' الساق– المساق '،

يقول الشاعر:

إنَّ البُكَا هو الشِّفَا ءُ بَينَ الجَوَى والجَوَانِحِ

' الجوى – الجوانح '

الجناس من المحسنات اللفظية وهي تكسب الكلام جرسا موسيقيا لافتا يجذب انباه السامع ونغما ونغما عذبا يستهويه مما يؤدي إلى التأثير في نفسه ويتقبله ويدرك معانيه في يسر وسلاسة

الدرس الحادي عشر: السجع

السجع: مِن: سَجعَ يسجعُ سَجعًا، أيْ: استوى واستقام وأشبَهَ بعضَه، ويُقال: سَجَعُ الحمامُ أيْ: موالاة صوتِها على طريق واحد، وسجع الرجل أيْ: تكلَّمَ بكلام مُقفّى غير موزون.

أمَّا **اصطلاحًا** فهو توافق الفاصلتين من النثر أو الشعر على حرف واحد، وهو كالقافية في الشّعر، وهذا يعني أنَّ اتفاق الفاصلتين في الحرف الأخير[83] يُسمى سجعًا، والكلمة سجعة، ويُطلق عليها قرينة لمقارنتها الكلمة الأخرى، وقد تُسمَّى فِقرة، ويأتي السجع في الكلام على أربعة أنواع وهي:

السجع المرصَّع

السجع المتوازي

السجع المطرَّف

السجع المشطُور،

كما يُقسم السجع بحسب الطول والقصر إلى نوعين:

إمَّا قصيرًا أو طويلًا،

وهو من أنواع البديع اللفظي.

– أنواع السجع

– **السجع المُرصَّع**: هو ما اتفقت في كلُّ ألفاظ القرينتين أي الجملتين أو أكثرها في الوزن والتقفية، كما في قوله تعالى: ((إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ* وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ))،

وأيضًا قوله تعالى: ((إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم))،

وقد سُميَّ مرصّعًا من قولهم ترصيع العقد، تشبيهًا له بعقد اللؤلؤ، حيث توضع اللؤلؤة في جانب، وتوضع مثلها في جانبٍ آخر؛ فالفقرتان المتفقتان في الوزن والتقفية مثلُ اللآلئ المتماثلة في جانبَيْ العِقد.

– **السجع المتوازي**: وهو ما اتفقت فيه الفاصلتان أيْ الكلمتان الأخيرتان في كلِّ جملة في الوزن والقافية مع اختلاف ما عداها، نحو قوله تعالى: ((وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ)). ((فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ وَأَكْوابٌ مَوْضُوعَةٌ))

السجع المُطرف: وهو ما اختلفت فيه الفاصلتان في الوزن واتفقتا في التقفية،، وسُميَّ مُطرّفًا؛ لأنَّ التوافق بين الفاصلتين واقع في الطرف، وهو الحرف الأخير، ومثاله قوله تعالى: ((مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا * وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا)).((أَلَمْ نَجْعلِ الأرضَ مِهَادًا والجِبَالَ أَوْتَادًا))

– **السجع المَشطُور**: ويُسمى أيضًا التشطير، وهو خاصّ بالشعر، وهو أن يكو لكلِّ شطرٍ من البيت قافيتان مغايرتان للشطر الآخر في الرَّويّ، نحو قول أبي تمام:

تَدْبيرُ مُعْتَصِمٍ بِاللَّهِ مُنْتَقِمٍ للهِ مرتقبٍ في الله مُرتغبِ

(معتصم – منتقم)، (مرتقب – مرتغب)

– **الموازنة:** وهي تساوي الفاصلتين في الوزن دون التقفية، نحو قوله تعالى: ((وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ)) فمصفوفة ومبثوثة متفقتان في الوزن دون التقفية

أقسام السجع تبعًا للطول والقصر:

بعد معرفة أنواع السجع بصورةٍ عامّةٍ، يمكن الحديث عن أنواع السجع تبعًا للطول أو القِصر، فإنَّ السجع يأتي إمَّا طويلًا يحتوي على ألفاظٍ كثيرة في كلٍّ من السجعتين، وإمَّا قصيرًا وهو ما كان مؤلفًا من ألفاظٍ قليلة في السجعتين، وهما تفصيلًا كما يأتي:

السجع القصير وهو ما كانت في كلٍّ واحدةٍ من السجعتين مؤلفةً من ألفاظ قليلة، وكلّما كان عدد الألفاظ قليلًا كان السع أحسن، فإذا كانت الاطراف متقاربة استساغتها الآذان لقربها م سمع السامع، وهذا الضرب يعدُّ أوعر السجع مسلكًا، وأصعبها مدركًا وأخفها على القلب، وأطيبها على السمع، ولا يكاد استعماله يقع إلا نادرًا، وسرُّ وعورة هذا النوع أنّ المعنى إذا عُبر عنه بألفاظ قليلة صَعُب تأتيّ السجع فيه، لقصر تلك الألفاظ، وضيق الفرصة في استحضاره، أما الطويل، فإنَّ الألفاظ تطول، ويُستجلب له السجع بسهولة، ومن أمثله السجع القصير قوله تعالى:((يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ* قُمْ فَأَنذِرْ* وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ* وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ* وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ)).

السجع الطويل وهو ما كانت فيه كلُّ واحدةٍ من السجعتين مؤلفةً من إحدى عشرة كلمة فما فوق، نحو قوله تعالى: ((وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ* وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي ۚ إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ)).

االدرس الثاني عشر: البلاغة والأسلوبية

كنا في المحاضرة الأولى من هذه قد تطرقنا إلى تعريف البلاغة العربية وظروف نشأتها وعلومها ومجالاتها، وفي هذه المحاضرة سنتطرق إلى العلاقة بينها وبين ما يعرف في الدراسات الحديثة بالأسلوبية، فقبل الخوض في هذه العلاقة يجدر بنا التعريج على الأسلوبية فنعرف على مفهومها واتجاهاتها ومنهجها، وبعد ذلك سيتسنى لنا الحديث فيما يجمع هذين العلمين وما يفرق بينهما.

– مفهوم الأسلوب

الأسلوب لغة واصطلاحا:

لغة: لقد أشار "ابن منظور" في معجمه "لسان العرب" يعرفه في مادة (سلب) كالآتي:

« يقال للسطر من النخيل أسلوب وكل طريق ممتد فهو أسلوب، والأسلوب الطريق والوجه والمذهب، يقال أنتم في أسلوب سوء ويجمع أساليب ...والأسلوب بالضم الفن... يقال أخذ فلان في أساليب من القول، أي أفانين منه »[84].

– ويعرّفه "الفيومي في معجمه المصباح المنير": الأسلوب بضم الهمزة: « الطريق والفن وهو على أسلوب من أساليب القوم أي على طريق من طرقهم والسّلْبُ ما يُسْلَبُ والجَمْعُ أَسْلابٌ »[85].

– ويعرّفه أيضا "الزمخشري" في معجمه "أساس البلاغة في مادة (سلب) ويقول:

« سلبه ثوبه وهو سليب، وأخذ سلب القتيل وأسلاب القتلى، ولبست الثكلى السُلاب وهو الحداد، وتسلبت وسلبت على ميتها فهي مسلب والإحداد على الزوج، والتسليب عام وسلكت أسلوب فلان طريقته وكلامه على أساليب حسنة، ومن المجاز: سلبه فؤاده وعقله وأستلبه وهو مستلب العقل »[86].

اصطلاحا: للأسلوب اصطلاحا تعريفات كثيرة، منها ما هو عربي ومنها غربي.

يعرفه أحمد الشايب عدة تعريفات:

– « فن من الكلام يكون قصصا أو حوارا، أو تشبيها أو مجازا، كتابة، تقريرا، حكما، أمثالا ».

– « طريقة الكتابة أو طريقة الإنشاء أو طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها للتعبير بها عن المعاني قصد الإيضاح والتأثير ».

– « هو الصورة اللفظية التي يعثر بها عن المعاني أو نظم الكلام وتأليفه لأداء الأفكار وعرض الخيال أو العبارات اللفظية المنسّقة لأداء المعاني »[87].

ويدرج (معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة)، المعاني الآتية للأسلوب:

– يحيل الأسلوب ضمنيا على مفهوم يعارض بموجبه الاستعمال الفردي والإبداعي للكود ووظيفته الاجتماعية.

– مفهوم الأسلوب اعتبر مثاليا مما حدا بالنقد إلى التساؤل عن دلالته.

– الأسلوب هو طريقة العمل ووسيلة تعبير عن الفكر بواسطة الكلمات والتركيبات[88].

ويعرِّفه الدكتور "رجاء عيد" أيضا في كتابه "البحث الأسلوبي معاصرة وتراث" بأنه:

– الأسلوب هو اختيار من جانب الكاتب بين بدلين في التعبير.

– الأسلوب هو قوقعة تكتنف من داخلها لبًّا فكريا له وجود أسبق.

– الأسلوب هو محصلة خواص ذاتية متسلسلة.

– الأسلوب هو انحراف عن نمط مألوف.

– الأسلوب هو مجموعة متكاملة من خواص يجب توافرها في نص ما.

– الأسلوب هو تلك العلاقات القائمة بين كليات لغوية تشير إلى ما هو أبعد من مجرّد العبارة لتستوعب النص كله[89].

أما عند الغربيين فله أيضا تعريفات كثيرة منها:

– تعريف بيفون: يعرفه بقوله: " أما الأسلوب هو الرجل نفسه"، و" فالأسلوب لا يمكن أخذه ولا نقله ولا تعديله "[90].

– تعريف موريه: الأسلوب بالنسبة لنا هو موقف من الوجود من شكل من أشكال الكينونة[91].

– ستاندال: الأسلوب هو أن تضيف إلى فكر معين جميع الملابسات الكفيلة بأحداث التأثير الذي ينبغي لهذا الفكر أن يحدثه[92].

– بيار جيرو: الذي يرى أن الأسلوب: « طريقة للتعبير عن الفكر بوساطة اللغة»[93].

– أما المدرسة الفرنسية: تعرف الأسلوب بأنه: «دراسة طريقة العبير عن الفكر من خلال اللغة »

تعريف الأسلوبية:

ولقد أفاد "شارل بالي" الذي يعدّ من المؤسسين لنظرية علم الأسلوبية: « إن علم الأسلوب يعنى بدراسة الوسائل التي يستخدمها المتكلم للتعبير عن أفكار معينة، وأن العمل الأدبي هو ميدان علم الأسلوب »[94] فـ(علم الأسلوب) أو (الأسلوبية) علم يُعنى بكل ما يتعلق بالأسلوب، ويكشف عن الخصائص المميزة (الأسلوبية) للتعبير المكتوب والمنطوق وإن الأسلوب مصطلح ذو مدلول إنساني، ذاتي نسبي، وإن الأسلوبية أو علم الأسلوب أصبحت جسرا يربط علوم اللسان (اللسانيات) بالإبداع الفني الأدبي.

نشأة الأسلوبيّة: كانت البداية للأسلوبيّة قديمًا عند العالم السويسريّ فرديناند دي سوسير، الذي أسّس علم اللغة الحديث، وفتح المجال أمام أحد تلاميذه ليؤسّس هذا المنهج، وهو شارل بالي فوضع علم الأسلوبيّة كجزء من المدرسة الألسنيّة، وأصبحت الأسلوبيّة هي الأداة الجامعة بين علم اللغة والأدب، وبذلك فقد ارتبطت نشأة الأسلوبيّة من الناحية التاريخيّة ارتباطًا واضحًا بنشأة علوم اللغة الحديثة.

مبادئ الأسلوبية

– الاختيّار

وهو من أهمّ مبادئ علم الأسلوب لأنّه يقوم عليه تحليل الأسلوب عند المبدع، ويقصد بها العمليّة التي يقوم بها المبدع عندما يستخدم لفظة من بين العديد من البدائل الموجودة في معجمه فاستخدام هذه اللفظة من بين سائر الألفاظ هو ما يسمى 'اختيّار'، وقد يسمّى 'استبدال' أي إنّه استبدل بالكلمة القريبة منه غيرها لمناسبتها للمقام والموقف.

– التركيب

ويسمى بمحور التوزيع أو العلاقات التركيبية، ويقصد بها تنظيم، وتوزيع الألفاظ المختارة وفق قوانين اللغة، وما تسمح به من تصرّف، وهذه العمليّة هي التي يسمّيها جاكبسون: إسقاط محور الاختيار على محور التوزيع.

– الانزياح

ويسمّى العدول، أو 'الانحراف' كما سمّاه ابن جنّيّ قديمًا، أو كما سمّاه جاكبسون (خيبة الانتظار)، ولهذا المبدأ أهمّيّة خاصّة في علم الأسلوب حتّى سمّاه بعضهم (علم الانحرافات).

وهذا المبدأ ينطلق من تصنيف اللغة إلى نوعين:

لغة مثاليّة معياريّة نمطيّة متعارف عليها.

ولغة إبداعيّة مخالفة للنمط المعياريّ السابق.

فالعدول هو: مخالفة النمط المعيار المتعارف عليه إلى أسلوب جديد غير مألوف عن طريق استغلال إمكانات اللغة وطاقاتها الكامنة.

ويتّضح في هذا التعبير شرط يضبط هذا العدول حتّى لا يخرج عن الحدّ المقبول وهو أن يكون العدول في حدود ما تسمح به قواعد اللغة، وكذلك يجب أن يكون هذا العدول ذا فائدة فليس العدول غاية في ذاته إنّما المقصود منه إثارة السامع وحفّزه على التقبل.

– اتجاهات الأسلوبية : وبناء على ما سبق يمكن أن نستخلص اتجاهات الأسلوبية ومقولاتها ومستويات التحليل فيها[95]، وبالتالي الاستعانة بذلك في تحليلنا للنصوص الأدبية، وهي كما يلي:

أ– أسلوبية التعبير:

أسلوبية التعبير أو الأسلوبية الوصفية تعنى بمعالجة تعبير اللغة بوصفه ترجمان أفكارنا. ويعد شارل بالّي رائدها بدون منازع ولا مدافع. وهو يحدد الأسلوبية بأنها: "دراسة أحداث التعبير اللغوي المنظم لمحتواه العاطفي، أي دراسة تعبير اللغة عن أحداث الحساسية، وفعل أحداث اللغة على الحساسية"[96] . فهذه الأسلوبية –كما يؤكد بيير غيرو– تعبيرية بحتة، ولا تعني إلا الإيصال المألوف والعفوي، وتستبعد كل اهتمام جمالي أو أدبي".

ومن أشياع هذا الاتجاه المتأثرين بمنهاج بالي ومفهومه للأسلوبية نجد كلا من جول ماروزو، ومارسيل كروسو.

ب– أسلوبية الفرد:

أسلوبية الفرد أو الأسلوبية التكوينية ظهرت على يد النمساوي ليو سبيتزر[97]، كرد فعل على أسلوبية بالي، وبتأثير مباشر من أستاذه الألماني كارل فوسلير (1872-1949). ويرى سبيتزر أن الفرد مستعمِلَ اللغة غير ملزم بالتقيد بقواعد اللغة المتعارف عليها، بل بإمكانه أن يتملص منها، ويبدع تركيبا لغويا جديدا يميزه عن غيره، ويكون بمثابة أسلوب خاص به وحده. وتكمن مهمة الناقد الأسلوبي في دراسة تلك الخواص اللغوية المتفردة الدالة على شخصية الكاتب. ويبدو أن سبيتزر قد تأثر في رأيه هذا بآخرين سبقوه إلى توكيد صلة الأسلوب بصاحبه. بحيث يروى أن (أفلاطون) قال: "كما تكون طباع الشخص يكون أسلوبه". واعتبر (سينيك) الأسلوب صورة الروح. وكان الكونت بوفون قد ألقى في المجمع العلمي الفرنسي محاضرة بعنوان "مقالات في الأسلوب"، مما جاء فيها: "الأسلوب هو الرجل عينه"؛ بمعنى أنه صورة لصاحبه، تبرز مزاجه وطريقته في التفكير ورؤيته إلى العالم. وقد أثَّر بوفون بنظريته هذه في كل الذين جاؤوا من بعده من نقاد الأدب ومنظّري الأسلوب (بول كلودال، شوبنهاور، فلوبير، ماكس جاكوب...). إن الأسلوب الفردي – كما يقول فريديريك دولوفر : حقيقة بما أنه يتسنى لمن كان له بعض الخبرة أن يميز عشرين بيتا من الشعر إن كانت لـ:راسين أم لـ: كورناي، أم لغيرهما، وأن يميز صفحة من النثر إن كانت لـ:بلزاك أم لـ:ستاندال، أو لغيرهما.

وإلى جانب هاتين الأسلوبيتين يتحدث بعضهم عن أسلوبيات أخر، كالأسلوبية البنيوية[98] التي وضع أسسها فرديناند دي سوسير. ومن أعلامها ريفاتير الذي يؤمن بوجود بنية في النص، وبوجوب البحث فيها. ويضيف إلى ذلك أهمية "المتلقي" في تحديد الأسلوب والأسلوبية، ويرى أيضا أن كل بنية نصية تثير رد فعل لدى القارئ تشكل موضوعا للأسلوب. وكلما كان هذا الرد واعيا، كان الإحساس أقوى بميزة هذا الموضوع. واهتم ريفاتير كثيرا "بالسياق الأسلوبي"، وعرّفه على أنه نسق لغوي يقطعه عنصر غير متوقع ، أي مضاد للسياق، وغير متنبأ به، بحيث عقد له فصلا خاصا في كتابه الشهير(محاولات في الأسلوبية البنيوية)، وقسمه إلى سياق أصغر وسياق أكبر[99].

ونجد في هذا التيار كذلك ياكبسون، وإن كان جيرو يصنفه ضمن أسلوبية أخرى مستقلة، سماها" الأسلوبية الوظيفية".

جـ- الأسلوبية الإحصائية

بالرغم من اختلاف الدارسين حول جدوى استخدام تقنية الإحصاء في دراسة الأسلوب بين معارض لها (غريماس مثلا)، ومؤيد (مولر مثلا)، وكما وسم (اولمان) الطرق الإحصائية بافتقارها للحساسية الكافية لالتقاط الخبايا الدقيقة في الأسلوب كالظلال الوجدانية والأصداء الموحية والتأثيرات الإيقاعية الدقيقة وعدم احتفالها بالسياق، وتقديمها الكم على الكيف، وحشدها لعناصر متباينة على صعيد واحد بناء على تشابه سطحي بينهما، ومن ثمة يوجد خطر في اعتماد هذه الطريقة لانها تقدم الكم على الكيف[100].

ورغم هذا استطاع الفرنسي (بيار جيرو) أن يؤسس لاتجاه أسلوبي بمؤازرة بعض رفاقه، وسمي "بالأسلوبية الإحصائية"، التي تتخذ من الأسلوب واقعة قابلة للقياس الكمي، وفي مجال التطبيق عندنا قام د. سعد مصلوح بدراسة إحصائية (الأسلوب: دراسة إحصائية) طبق فيها مقياسا كميا في معالجة النصوص الأدبية.

بين الأسلوبيّة والبلاغة

هناك أوجه اتّفاق كثيرة بين الأسلوبية وعلم البلاغة كما توجد أوجه اختلاف، ولعلّ الوقوف على هذه الفروق يوضح لنا ويجلي مدى العلاقة، والاتّصال بين علم الأسلوب والبلاغة. فأمّا أوجه الاتّفاق فهي كما يأتي

- إنّ كلاًّ منهما نشأ منبثقًا من علم اللغة وارتبط به.
- إنّ مجالهما واحد وهو اللغة والأدب، وبحوثها تتناولهما
- علم الأسلوب استفاد كثيرًا من مباحث البلاغة مثل علم المعاني، والمجاز، والبديع، وما يتّصل بالموازنات بين الشعراء وأساليبهم الفرديّة.

كما أنّهما يلتقيان في أهمّ مبدأين في الأسلوبيّة هما: العدول والاختيار..

البلاغة تقوم على 'مراعاة مقتضى الحال'، والأسلوبيّة تعتمد على 'الموقف'، وواضح ما بين المصطلحين من تقارب.

أمّا أوجه الاختلاف فهي على النحو الآتي:

– علم البلاغة علم لغويّ قديم، أمّا علم الأسلوب فحديث.

– البلاغة تدرس مسائلها بعيدًا عن الزمن والبيئة، أمّا الأسلوبيّة فإنّها تدرس النصوص في إطار زمني ومكاني.

– البلاغة علم معياري فعندما تدرس البلاغة قيمة النصّ الفنّيّة فإنّها تحاول أن تكشف مدى نجاح النصّ المدروس في تحقيق القيمة المنشودة، وترمي إلى إيجاد الإبداع وتحقيقه، فأحكامها قيمية،

أمّا الأسلوبيّة فهي علم وصفي فإنّها تعلل الظاهرة الإبداعيّة بعد وصفها وإثبات وجودها وإبراز خواصّ النصّ المميّزة له، ولا توجه الكاتب ولا تحكم عليه بالجودة أو الرداءة

– من حيث المادّة المدروسة فالبلاغة توقّفت عند الجملتين كحدّ أقصى في دراستها للنصوص، كما أنّها تنتقي الشواهد الجيّدة وتجزّئها، أمّا الأسلوبيّة فتنظر إلى الوحدة الجزئيّة مرتبطة بالنصّ الكلّيّ، وتحلّل النصّ كاملاً.

– البلاغة غايتها تعليميّة ترتكز على التقويم، أمّا الأسلوبيّة فغايتها التشخيص، والوصف للظواهر الفنّيّة.

وبعد هذه المقارنة بين البلاغة والأسلوبيّة يتّضح لنا أنّه لا تعارض بينهما، وأنّ الأسلوبيّة استفادت من البلاغة كثيرًا، بل إنّ الأسلوبيّة لم تنهض إلاّ على أكتاف البلاغة، ولكنّها تقدّمت عليها في مجال علم اللغة الحديث، ولو أنّ هذا التقدّم لا يصعب على البلاغة أن تحوزه إذا ما استفادت من مبادئ، وإجراءات علم اللغة الحديث، وعلم الأسلوب، والمناهج الألسنيّة عمومًا، بل إنّ البلاغة، وبما تملكه من إمكانات علميّة ثابتة، وقواعد راسخة، وما بذله لها علماء البلاغة قديمًا وحديثا قادرة على خلق نظريّة حديثة متطوّرة تفوق كلّ النظريّات السابقة إذ ما التزمت بأساسها، واستفادت من التطوّر العلميّ الحديث، ويظهر هذا في ما قدّمه عبد القاهر الجرجانيّ للبلاغة من تطوّر بنظريّته

المشهورة التي قفزت بالبلاغة إلى درجات لم تصل إليها اللغات الأخرى إلاّ في هذا العصر، فلو وجدت البلاغة من يكمل المسير الذي سار عليه عبد القاهر لما تأخّرت في هذا العصر، وبقيت تحت مرمى سهام الحاقدين على العربيّة وأهلها. وإنّ أيّ علم يتخلّف عن مواكبة تطوّر العلوم، وتقدّمها فإنّه يتقادم، ويذبل أمام بهرجة الحديث، وإغرائه خصوصًا إذا وجد من يتبنّاه من الباحثين، والعلماء المتمكّنين.

الدرس الثالث عشر: الشعرية والبلاغة

قبل التطرق إلى العلاقة بين هذين العلمين، وإلى الوشائج التي تربطهما ببعض، يجدر بنا إلقاء نظرة على الشعرية ، وإبراز مفاهيمها ووظيفتها.

ينبغي القول في البداية إن هذا مفهوم الشعرية من أعقد المفاهيم وأكثرها إثارة للجدل، ويرجع ذلك إلى عدة أسباب منها أنها تعود جذور نشأتها إلى عصور قديمة، ومنها تختلف معانيها من بيئة إلى أخرى، ومنها أن لها معان عديدة، وهذه المعاني متداخلة ومتشابكة إلى حد كبير، وهي في تطور مستمر من عهد أرسطو إلى يومنا، فمصطلح الشعرية (poetics) ظهر أول مرة عند أرسطو في كتابه ' فن الشعر' وقد تحدث فيه عن الخصائص الفنية للأجناس الأدبية التي كانت في عصره. وظل هذا المصطلح في التطور والتداول في النقد الغربي متأثرا بعديد العوامل خاصة المناهج النقدية التي كان كل منها يشكل المصطلح حسب خلفيته وفلسفته من ذلك الحين إلى أن استقر على ما هو عليه اليوم، أما في النقد العربي فلم يكن معروفا ولا متداولا إلا في العصر الحديث وبعد الاحتكاك بالغرب وتعريب المصطلح ليأخذ هذا الذي نعرفه ' الشعرية '

الشعرية لغة:

يظهر أن الجذر اللغوي لمصطلح الشعرية في اللغة العربية هو: 'ش ع ر' ، ومن المعاني التي وردت فيه ما يلي:

– في مقاييس اللغة لابن فارس: " الشين والعين والراء، أصلان معروفان يدل أحدهما على ثبات والآخر على عِلْمٍ وعَلَمٍ...شعرت بالشيء، إذا علِمْتُه وفطِنْتُ له..."[101].

– وفي لسان العرب لابن منظور، 'ش ع ر' بمعنى عَلِمَ... وليت شعري، أيّ ليت عِلْمِي، والشعر منظوم القول، غلب عليه لشرفه بالوزن والقافية... وقال الأزهري : الشعر القريض المحدود بعلامات لا يجاوزها، والجمع أشعار وقائله شاعر، لأنه يشعر بما لا يشعر به غيره، أيّ يعلم... وسُمّيَ شاعرًا لفطنته"[102].

– وفي أساس البلاغة للزمخشري 'ش ع ر' بمعنى... عظَّم شعائر الله تعالى، وهي أعلام للحج من أعماله، ووقَف بالمشعر الحرام... وما يُشعركم: وما يُدريكم. وهو ذكي المشاعر وهي الحواس "[103].

بالنظر إلى كل تلك المعاني الواردة في هذه المعاجم، نجد أن الأصل اللغوي للشعريّة (ش ع ر) يدلّ يدل في الغالب على معنى العلم والفطنة، ومنه كما نعلم جاءت كلمة شِعْر وشاعر، وقيل إن الشاعر سمي كذلك لأنه يشعر بما لا يشعر به، أي له علم وفطنة ليست في غيره

والشعرية مصدر صناعي من الشعر يدل على ما له صلة بالشعر أو صفات وخصائص تتعلق به

الشعرية اصطلاحا:

يعدُّ مصطلح الشعريّة في النقد العربي، من المصطلحات المعقّدة، على عكس ما نجده في النّقد الغربي، والسبب في ذلك يعود إلى أصل المصطلح(الشعريّة) "فهو مترجم من لغته الأصل poétique إلى اللغة العربيّة(شعريّة) وهو مصطلح فرنسي يقابله في الإنجليزية poétics وكلاهما منحدر من الكلمة اللاتينية poética المشتقّة من الكلمة الإغريقية poétikos)".[104] وهو يعني بشكل عام وأولي: "قوانين الخطاب الأدبي"[105]

أما في العربية فإن (الشعرية) هو المصطلح المقابل لهذا المصطلح الأجنبي –كما مر – إلا أننا نجد له عددا من الترجمات أو المقابلات منها: الشاعرية، الإنشائية، بويطيقا، نظرية الشعر، فن الشعر، فن النظم، الفن الأدبي، علم الأدبي، وطبعا الشعرية التي تبناها كثير من الباحثين

وقد أشار أحمد مطلوب هذا المصطلح وقال إنه مصدر صناعي ينحصر معناه في اتجاهين:" فن الشعر وأصوله التي تتبع للوصول إلى شعر يدل على شاعرية ذات تميز وحضور... ويمثل الثاني الطاقة المتفجرة في الكلام المتميز بقدرته على الانزياح والتفرد، وخلق حالة من التوتر"[106]

وبما أن الشعرية تبحث في قوانين الخطاب الأدبي أيا كان هذا الخطاب شعرا أو نثرا فإن وسيلة البحث تكمن في ذات العلم أي في الشعرية، فلا يوجد منهج اخر يمكنه الكشف عن هذه القوانين، ويمكن القول إن الشعرية هي " محاولة وضع نظرية عامة ومجردة ومحايثة للأدب بوصفه فنا لفظيا، إنها تستنبط القوانين التي يتوجه الخطاب بموجبها وجهة أدبية، فهي إذن تشخص قوانين الأدبية في أي خطاب لغوي، وبغض النظر عن اختلاف اللغات"[107]

ومن الجدير بالذكر أن الشعرية وإن كان لها إطارا عاما يحكمها من حيث أنها تبحث في قوانين الخطاب الأدبي، أي ما يجعل خطابا ما أدبيا، فإن مفاهيمها متعددة، رأسيا وأفقيا إن صح التعبير، رأسيا بالنظر إلى مفاهيم عبر العصور، وأفقيا بالنظر إلى مفاهيمها حسب التيارات الفكرية والمناهج النقدية

وسنأخذ بعض نماذج الشعرية عند الغرب وعند العرب

أ– عند الغرب:

الشعريّة عند تودوروف

إنَّ الشعريّة عند تودوروف لا تتمثل في الأدب ذاته بل في تلك الخصائص التي تجعل منه خطابا أدبيا أي الأدبية، " وليس العمل الأدبي كما يرى تودوروف هو موضوع الشعريّة في حد ذاته، فما تستنطقه هو خصائص هذا الخطاب النوعي الذي هو الخطاب الأدبي. وكل عمل عندئذ لا يعدُّ إلا تجلِيًّا لبنية محددة وعامة ليس العمل إلا إنجازًا من إنجازاتها الممكنة. ولكل ذلك فإن هذا العلم (الشعريّة) لا يُعنَي بالأدب الحقيقي بل بالأدب الممكن، وبعبارة أخرى يُعنَى بتلك الخصائص المجردة التي تصنع فرادة الحدث الأدبي، أي الأدبية "[108]، إن موضوع الشعريّة عند تودوروف ليس الأثر

الأدبي الذي هو عمل موجود، وانما هو العمل المحتمل؛ أي العمل الذي يُولِد نصوصًا لا نهائية ولقد حاول تودوروف من خلال تركيزه على النظرية الأدبية أن يحدد مجالات الشعريّة في النقاط الآتية:

1 – تأسيس نظريّة ضمنية للأدب

2 – تحليل أساليب النصوص

3 – تسعى الشعريّة إلى استنباط الشفرات المعيارية التي ينطلق منها الجنس الأدبي.

الشعريّة عند جاكوبسون

يرى فرومان جاكوبسون أن " الشعريّة يمكن تحديدها على أنّها ذلك الفرع من اللسانيات الذي يعالج الوظيفة الشعريّة في علاقاتها مع الوظائف الأخرى للغة، وتهتم بالمعنى الواسع للكلمة بالوظيفة الشعريّة،لا في الشعر وحسب، إذ تهيمن هذه الوظيفة على الوظائف الأخرى للغة، وتهتم بها أيضا خارج الشعر، حيث تعطى الأولوية لهذه الوظيفة أو تلك على حساب الوظيفة الشعرية "[109] ومن خلال هذه المقولة نستنتج أن مقصد جاكوبسون من الشعرية يتلخص في ثلاثة نقاط مه=مة وأساسية هي:

أ- الشعريّة فرع من فروع اللسانيات.

ب- الشعريّة تعالج الوظيفة الشعريّة وعلاقتها بالوظائف الأخرى للغة، بمعنى أنّ الشعريّة لها علاقة بالبنيويّة والأسلوبيّة والسيميائيات وغيرها من علوم اللغة.

ج- تهتم بالوظيفة الشعريّة، ليس في الشعر وحسب بل حتى في النثر. وهكذا ينظر إليها – تودوروف أيضا – إذ يدرجها ضمن العلوم التي تهتم بالخطاب أو المنطوق والمكتوب بما فيه الخطاب السياسي، والفلسفي لما لهذه الخطابات من الصلة الوطيدة بالخطاب الأدبي وهذا يؤكد إلى أن الشعريّة في مفهومها الغربي لاتعتني بالشعر وحده، بل تأخذ أيضًا فنون الكلام الأخرى بالحسبان من منطلق أنها ذات صلة بالأدب، فالشعر عند جاكوبسون لغة ذات وظيفة جماليّة،أ ما الشعريّة فتعني حسبه الأدبية وموضوعها علم الأدب الذي يعنى بالآليات، وطرائق الصياغة والتركيب.

الشعريّة عند جون كوهين

الشعرية عنده علم موضوعه الشعر، أو اللغة الشعريّة، وليس دراسة الأدب، أو اللغة الأدبيّة، فهو يرنو إلى تأسيس علم للشعر ، وشعريته قريبة من الشعرية العربيّة القديمة التي تقتصر أيضاً على الشعر وحده، وقد انطلق في أعماله من دراسة البلاغة القديمة، محاولًا دفعها إلى الأسلوبيّة الحديثة، وقد اعتمد في أعماله على مفهوم الانزياح أو العدول... والانزياح يتحدد عنده من خلال مقابلة الشعر بالنثر، فالنثر هو الشكل المألوف العادي للغة، وبالنّظر إليه يعدُّ الشعر انزياحًا أو عُدولاً عن المعيار(لغة النثر)، فالانزياح يتجلى في خرق قانون اللغة ، فكل شعر عنده هو انزياح " فهو يعُدّ الشعر منزاحًا عن النثر بصورة مطلقة، فالنثر –هنا– هو كل استعمال لغوي غير شعري، ويشمل ذلك النثر الأدبي"[110]،

الشعرية من منظور عربي:

الشعريّة عند كمال أبو ديب:

يحدد كمال أبو ديب مفهومه للشعريّة، وموضوعها انطلاقًا من أسس غربيّة، فالشعريّة عنده حسب ما أورده في كتابه(في الشعريّة) خِصّيصة علائقيّة، أي أنّها تُجسّد في النّص شبكة من العلاقات التي تنمو بين مكوّنات أوّلية، سمتها الأساسيّة أنّ كلا منها يمكن أن يقع في سياق آخر من دون أن يكون شعريّا، لكنّه في السياق الذي تنشأ فيه هذه العلاقات، وفي حركته المتواشجة مع مكونات أخرى لها السمة الأساسيّة ذاتها، يتحوّل إلى فاعليّة خلقٍ للشعريّة، ومؤشّرًا على وجودها"[111] ، إذاً فالعلاقات عند أبو ديب بين مكوّنات الإبداع الأدبي لها قيمتها في صبغ العمل بصبغة الشعريّة، التي ترى في النّص بنية متجانسة مكوَّنة من مجموعة أجزاء مترابطة في ما بينها، تساهم من خلال علاقاتها ببقيّة الأجزاء في إنتاج صفة الشعريّة، وهنا تكمن الخلفية البنيويّة لتعريفه للشعريّة، التي يرى أنّها ليست خِصّيصة في الأشياء ذاتها، بل في تموضُع الأشياء في فضاء من العلاقات، إن الملاحَظ من كلام أبي ديب في المقولة السابقة، أنّه يبني نظريّته على أساس لساني ونظريّته تنطلق من اللسانيات من خلال دعوتها إلى تبنّي العِلْمية وسيلة في التعامل مع النصوص، وبالتالي التركيز على البنيويّة اللغويّة من دون العوامل الخارجية

الشعريّة عند أدونيس

لم تكن بداية أدونيس عربيّة كذلك، ولم ينطلق في دراسته للشعريّة من فراغ، فقد بدأ من حيث انتهى الشكليون، وتبنى موقفهم في تفجير اللغة، وتشظّي دلالاتها، وفتح آفاق النّص، وإشراك القارئ فعليًّا في تلقّي النّص، وفي تفسيره، ويبدو أنه أفاد مما احتدم في ساحة النّقد الفرنسي حول النّقد الألسني منذ حقبة مبكرة، إذ أن مقولات رولان بارت في كتابه(درجة الصفر للكتابة) تجد صداها في أعمال أدونيس النقديّة، وقد اهتم في كثير من كتاباته النقديّة بموضوع الشعريّة حتى أنّه سمّى كتابه ب(الشعريّة العربيّة) الذي تعرَّض فيه للشعريّة والشفويّة الجاهليّة، وأثرها على النّقد من خلال خصائصها المتمثّلة في السّماع، الإعراب، والوزن، لكن السلبي في هذا الخطاب أنّه بقي ينظر للنّصوص الشعريّة اللاحقة بالمقياس نفسه الذي نظر به للشعر الشفوي، إذ لا يعد كل كلامٍ شعرًا إلا إذا كان موزوناً على الطريقة الشفويّة الأولى، وبذلك استبعد من مجال الشعريّة كل ما تفترضه الكتابة: التأمُّل، الاستقصاء، الغموض، كما تطرق لعلاقة الشعريّة بالنّص القرآني مركزًا على الأفق الذي فتحته بنية هذا النّص المعجز الكتابية أمام الشعريّة العربيّة فيقول في كتابه(الشعريّة العربيّة) ، هكذا كان النّص القرآني في تحوّل جذري و شامل: به وفيه، تأسَّست النَّقلة من الشفويّة إلى الكتابة) "[112]، إن أدونيس يرى أن جذور الحداثة الشعريّة العربيّة بخاصة، والحداثة الكتابيّة بعامة، كامنة في النّص القرآني، فالدراسات القرآنيّة وضعت أسسًا نقديّة جديدة لدراسة النّص ممهِّدة بذلك إلى شعريّة عربيّة جديدة، نتيجة لظهور معايير جديدة لكتابة القصيدة الشعريّة مع كل من بشّار بن برد، مسلم بن الوليد، أبو نواس، أبو تمّام وغيرهم.

أما عن الفرق بين اللغة الشعريّة واللغة العاديّة فإن أدونيس يفرّق بينهما متَّخذا من مبدأ الانحراف أساسًا لهذه المفارقة، لأن اللغة الشعريّة الحداثيّة هي دعوة إلى التحوّل عن السياق العادي، والابتعاد عن الواضح السائد، بحجّة أن الوضوح لا يبعث في القارئ عنصر التخييل، كما أنه يقوم بخنق أبعاد النّص حتى يكون أحادي التفسير، إنّ اللغة الشعريّة المحدَثة تثير في قارئها لذّة التساؤل ومتعة الكشف، فالانحراف هو ضرورة لخلق الشعريّة الحديثة في لغته االمتنكرة عن المطابقة.

وفي إطار حديث أدونيس عن الفرق بين الشعر والنثر فإنّه يرى أن الفرق بينهما ليس في الوزن، بل في طريقة استعمال اللغة، وبِنفي الشعريّة عن الوزن يصل أدونيس إلى النتيجة المضادة، وهي حصر الشعريّة في طريقة التعبير، أو كيفية استخدام اللغة، فهو يصل إلى لغة الشعر لا من خلال فحص هذه اللغة في ذاتها، وإنّما من خلال المقايسة الخاطئة بما ليس بشعر، أيّ أنّه يحاول إسناد الشعريّة إلى المعنى بِنفيها عن الوزن. كما يظهر مما سبق فالشعريّة عند أدونيس تعدّ كتابة إبداعيّة على نحو ما فعل رولان بارت، وهو يرفض الغائية ويعدّ الشعر لوناً من السحر يهدف إلى أن يُدرِك ما لا يدركه العقل.

بين الشعرية والبلاغة

– الشعرية كما سبق وأن أشرنا هي في إحدى مفاهيمها هي نظرية عامة للأدب تسعى لوضع أو لاكتشاف القوانين التي تحكم الخطاب الأدبي، والبلاغة من هذه الناحية لا يمكن فصلها عن هذه النظرية، فهي جزء أصيل من أي بحث أو دراسة تستهدف الأدب، وهذا بغض النظر عن طبيعة هذه العلاقة وعن كونها محورية أو ليست محورية.

– مجالهما الأدب شعرا، فكما أن البلاغة تتناول النصوص الأدبية الراقية بالتحليل من البلاغية فتستخرج الصور البيانية والمحسنات البديعية والأساليب الجميلة، كذلك فإن الشعرية تتناول النصوص الأدبية وتستنبط القوانين التي جعلتها أدبية، فرغم اختلافهما في نوع الدراسة إلا أنهما في النهاية المجال واحد.

– كلاهما يهتم بما هو مميز في الأدب، وإن كان لكل منهما زاويته ومنهجه وهدفه في ذلك، فالشعرية على سبيل المثال تبحث في الانزياح باعتباره قانون الشعرية أو الأدبية في بعض الشعريات[113]؛ فأي نص أدبي لا يأخذ هذا الوصف إلا إذا تحقق فيه الانزياح وهو الخروف على المألوف أو الانحراف على المعيار، كذلك فإن البلاغة تدرس وتهتم بما هو مميز وعلى درجة من الإبداع، فهي معنية مثلا بالمجازات والاستعارات المبدعة، والأساليب الراقية في التعبير الأدبي.

– ويمكن أن نجد رابطا آخر للبلاغة بالشعرية، وهي البلاغة بوصفها وصفا للكلام البليغ الذي بلغ درجة عالية من الإبداع وحقق من الجمال ما يدخله دائرة الأدب، والشعرية تحديدا تبحث في هذه الجمالية، وبالتالي فإن بلاغة أي خطاب هي شرط في دخوله في مجال دراسات الشعرية، بل يمكن أن تكون هذه البلاغة هي القوانين التي تشكل أدبية الأدب والتي هي مبتغى الشعرية وضالتها، المثال الذي يقرب هذه الفكرة هي قول ابن طباطبا " الشعر هو ما إن عُرِّي من معنى بديع لم يَعْرَ من حسن الديباجة"[114]، فهو كما نرى يخرج من دائرة الشعر ما لا تتوفر فيه بعض الخصائص والتي ترجع بالأساس إلى البلاغة.

وجوه الاختلاف والتباين بين الشعرية والبلاغة

على الرغم مما رأينا نقاط تلاق بين الشعرية والبلاغة إلا أن هناك نقاط اختلاف لابد من ذكرها، منها:

– الشعرية أعم منى البلاغة في كونها تسعى لإرساء قواعد عامة أو وضع قوانين كلية تحكم الخطاب الأدبي وتؤطره، في حين أن البلاغة لا تسعى إلى هذه الغاية.

– الشعرية تبحث عن القوانين الكلية للخطاب الأدبي، وبالتالي فما تسنتجه من قوانين يتعلق بكل الآداب و في جميع اللغات في حين البلاغة تكون ذات قواعد محلية إن صح التعبير، بمعنى أن البلاغة العربية هي غير البلاغة في أي لغة أخرى، إذ يكون لها من الخصوصية ما يجعلها لا تصلح ولا تستقيم مع الكلام أو الخطاب في اللغات الأخرى.

– من الفروق أيضا أن للبلاغة جانب فني يكون فيه للذوق الدور الأكبر في اكتشافه، في حين الشعرية علم، ومن شأن العلم أن يكون موضوعيا وأن لا يعبأ بالذوق والإحساس الشخصي، لأنه لا يمكن التأكد من صحته، ولأنه أي الذوق مختلف من شخص إلى آخر.

– الشعرية بما أنها علم فإن المنهج الوصفي هو الأنسب في دراساتها، في حين أن البلاغة لا اعتمد غالبا هذا المنهج.

– البلاغة علم معياري، يضع المعايير ويصدر أحكام قيمية تصف العمل الأدبي بالجودة أو الرداءة، كما أنها تضع قواعد توجيهية لتمكن المتكلم والكاتب من إجادة التعبير وصياغة الأساليب الرفيعة.. في حين أن الشعرية لا تفعل ذلك فلا تضع معايير للأدب الرفيع ولا توجه الأدباء ولا تحكم على ما يكتبون.

– البلاغة تقوم على تصنيف الصور والأساليب وتحللها وتبين جمالياتها وتقف عند هذا الحد، وهي أيضا تقوم بعمل تجزيئي، لكن الشعرية تتجاوز مرحلة التصنيف والحالات الجزئية وتبحث عن البنى المشتركة والقوانين الكلية[115]

الدرس الرابع عشر: بلاغة الخطاب النثري

استقر في الدرس النقدي العربي أن الكلام قسمان: شعر ونثر، فالشعر هو الكلام الموزن المقفى، وزاد آخرون شروطا أخرى أضافوها إلى تعريف الشعر، ومن ذلك يتبين أن النثر هو الكلام غير الموزون المقفى، فالشعر والنثر يشتركان في الكلام الذي يعد بمثابة الجنس لهما، ثم ينفصل الشعر عن النثر بفضل الوزن، وقد داب الناس وحتى الأدباء والنقاد على تفضيل الشعر لأسباب عديدة منها الوزن وقج قال ابن الأثير في بيان أفضلية الشعر على النثر: " إن أكثر، والمعاني فيها أعزر، وسبب ذلك أن العرب الذين هم أصل الفصاحة جل كلامهم شعر، ولا نجد الكلام المنثور في كلامهم إلا يسيرا، ولو كثر فإنه لم ينقل عنهم، بل المنقول عنهم هو الشعر، فأودعوا أشعارهم كل المعاني... ثم جاء الطراز الأول من المخضرمين فلم يكن إلا الشعر، ثم استمرت الحال على ذلك فكان الشعر هو الأكثر، والكلام المنثور بالنسبة أليه قطرة من بحر، ولهذا صارت المعاني كلها مودعة في الأشعار..."[116].

ولعل هذا هو السب الرئيس في إهمال النثر في الدراسات الأدبية والتقدية والبلاغية، وتقديم الشعر عليه، فلو تفحصنا الكتابات البلاغية والنحوية – مثلا– فإننا نجد الاهتماك بالشعر أكثر من النثر وخاصة فيما يتعلق بالشواهد، فإدا تطرقوا إلى قاعدة أو معيار فإن الشاهد غالبا من يكون من

الشعر، وإذا استجادوا معنى أو حكمة أو فضيلة فإنهم يلتمسونها في الشعر، وإذا أرادوا البحث عن الاستعارت والتشبيهات والمجازات وغيرها فإنهم يلجأون إلى الشعر في أغلب أحوالهم. وهذا يؤكد أولوية الشعر وأفضليته على النثر، لكن هذا لا يعني أن النثر عنده حال من أية قيمة أو أنها لا تفترض فيه أية معايير بلاغية أو أدبية، يقول أبو هلال العسكري: " أجناس الكلام المنظوم ثلاثة: الرسائل، والخطب، والشعر، وجمعيها تحتاج إلى حسن التأليف وجودة التركيب. وحسن التأليف يزيد المعنى وضوحاً وشرحاً، ومع سوء التأليف ورداءة الرصف والتركيب شعبة من التعمية، فإذا كان المعنى سبياً، ورصف الكلام رديأً لم يوجد له قبول، ولم تظهر عليه طلاوة. وإذا كان المعنى وسطا، ورصف الكلام جيداً كان أحسن موقعاً، وأطيب مستمعاً، فهو بمترلة العقد إذا جعل كل خرزة منه إلى ما يليق ا كان رائعاً في المرأى وإن لم يكن مرتفعا جليلا، وإن اختلّ نظمه فضمت الحبة منه إلى ما لا يليق ا اقتحمته العين وإن كان فائقاً ثميناً.

وحسن الرصف أن توضع الألفاظ في مواضعها، وتمكّن في أماكنها، ولا يستعمل فيها التقديم والتأخير، والحذف والزيادُة إلا حذفاً لا يفسد الكلام، ولا يعمى المعنى، وتضم كل لفظة منها إلى شكلِها، وتضاف إلى لفقِها.

وسوء الرصفِ تقديم ما ينبغي تأخيره منها، وصرفها عن وجوهها، وتغيير صيغتها، ومخالفة الاستعمال في نظمها"[117]

وهذا النص يكشف أنه على الرغم تفضيل الشعر على النثر عند الدارسين إلا أن النثر أيضا هو محل اهتمام وخاصة الخطابة وفن الرسالة، ولقد اجتهد النقاد وعلماء البلاغة في وضع المعايير والمقاييس التي ينبغي أن تتوفر فقيهما حتى تكون محل إعجاب واستحسان، وإذا تأملنا ما كتب الجاحظ في ذلك فإننا نجد الشيء الكثير في هذا الأمر، فهو يقول " وأحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره، ومعناه في ظاهر لفظه وإذا كان المعنى شريفا واللفظ بليغا وكان صحيح الطبع بعيدا عن الاستكراه ومنزها عن الاختلال مصونا عن التكلف صنع في القلوب صنيع الغيث في التربة

الكريمة"[118]، فهو لا يميز بين شعر ونثر كما نرى، وفي سائر ملاحظاته وتوجيهاته البلاغية لا يميز بينهما.

ونجد أبا حيان التوحيدي لا يفرق بين الشعر والنثر في المزايا والجوهر، يقول:" وأحسن الكلام ما رق لفظه ولطف معناه، وتلألأ رونقه، وقامت صورته بين نظم كأنه نثر، ونثر كأنه نظم..."[119]، فلا فرق بينهما في الجوهر، بل أكثر من ذلك يرى أن النثر لا يخلو من موسيقى كما كان متوهما من كثيرين، ونسبوا الموسيقى للشعر وحده فيما يعرف بالوزن، ثم يتحدث عن بلاغة النثر فيقول:" وأما بلاغة النثر فأن يكون اللفظ متناولا والمعنى مشهورا، والتهذيب مستعملا، والتأليف سهلا، والمراد سليما، والرونق عاليا، والحواشي رقيقة، والصفائح مصقولة، والأمثلة خفيفة، والهوادي متصلة، والأعجاز مفصلة"[120]، وكان قبل ذلك تحدث عن بلاغة الشعر والخطابة والمثل وغيرها.

ونحن إذا تأملنا علم البلاغة بفروعها الثلاثة: المعاني والبيان والبديع لا نجد في قواعدها ما يخص الشعر ولا يخص النثر أو العكس، إلا في القليل النادر مما لا يشكل جوهر البلاغة، ففي مجال المعاني – مثلا – على المتكلم مراعاة مطابقة مقتضى الحال في كلامه بحيث يكون وفق الغرض الذي سيق له، ولا فرق في ذلك بين شاعر وناثر، وفي مجال البيان على المتكلم معرفة الأصول والقواعد التي يورد فيها المعنى الواحد بطرق مختلفة مع وضوح الدلالة، فينبغي مثلا أن يستعمل التشبيه أو الاستعارة على الوجه الصحيح وأن يجيد فيهما، ولا فرق أيضا بين شاعر وناثر في ذلك.

وفي مجال البديع على المتكلم أن يعرف وجوه تحسين الكلام لفظا أو معنى فيستعمل ما يخدم غرضه ويقدم معانيه في أحسن صورة من غير تكلف أو تعقيد، وأيضا هنا لا فرق بين شاعر وناثر.

وتكاد تكون المقاييس النثرية والشعرية واحدة، وتتطابق تطابقا يكاد يكون تاما في أكثر ما يعتمده الشعراء والناثرون من جوانب الصناعات اللفظية والمعنوية.

وقد بقيت بلاغة النثر متحدة مع بلاغة الشعر وملازمة لها لزوم الظل لصاحبه في معظم أطوارها، كما تدل على ذلك عناوين كثير من الكتب النقدية والبلاغية التي جمعت بين صناعة الشعر والنثر معا؛ ككتاب (الصناعتين) لأبي هلال العسكري، و(قانون البلاغة في الشعر والنثر) لابن حيدر

البغدادي، و(المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر) لضياء الدين بن الأثير، وغير ذلك من عناوين كتب النقد والبلاغة التي يضيق عنها مجال العد والحصر.

وعلى هذا الأساس، فالنثر لا يفرقه عن الشعر غير الوزن العروضي، أما في غير ذلك فهما سيان، وحلبة السباق والتنافس بين الشعراء والكتاب واحدة.

ومع ذلك فإننا نجد بعض النقاد والبلاغين يجعلون من بعض المحسنات البديعية جوهرا للشعر أو أخص خصائصه، ولعل ذلك يرجع إلى سببين: الأول أن هذه المحسنات معدومة في الشعر أو نادرة فيه و تتواجد بكثر في النثر ، والثاني أنهم أرادوا أن يستعيضوا بها عن الوزن والموسيقى في الشعر، فتكون هده المحسنات مميزات شكلية أو موسيقية في النثر

وهذه المحسنات هي: السجع، الجناس، الموازنة، الازدواج

وهذه المكونات الأربعة إذا اجتمعت كلها، وكان السجع قائدها تحقق التناسب الكامل والتناغم العالي الرفيع بين أجزاء الكلام المنثور: الكبرى والوسطى والصغرى؛ ونقصد بالأجزاء الكبرى نظام الفقرات، وبالوسطى نظام الجمل والفواصل، وبالصغرى نظام الكلمات والحروف.

وقد حرص النقاد والبلاغيون في تعريفهم وتحديدهم لعناصر بلاغة النثر الرباعية تلك أي: (السجع، التجنيس، الموازنة، الازدواج) على تأكيد خاصية التناسب اللفظي والصوتي التي تتكامل وتتقوى بتعاونها، بحيث ينهض كل عنصر بقدر معين معلوم منها. وكأنه أحد عناصر العزف والإيقاع الموسيقي المنسجم المتناغم داخل الجوقة الموسيقية الواحدة، مهما اختلفت في تنوع مصادر إيقاعها، وفي طبقاتها الصوتية التي تعلو وتنخفض تارة، وتقوى وتضعف تارة أخرى.

فالسجع هو توافق الفواصل على الحرف الأخير (وقد سبق الحديث عنه)، وهو في النثر كالقافية في الشعر.

وهو يحقق نوعا من الموسيقى عن طريق التواطؤ وعو التتابع المنتظم للسجعات من غير نقص وتقطع أو إخلال ونبو، ومن غير تغيير لحركاتها وسكناتها، كما في قوافي الشعر المتحدة الصافية عندما تخلو

من عيوب القوافي البشعة المرذولة كالإيطاء والتضمين وغير ذلك، مما هو مقرر وثابت بالشواهد والأمثلة في كتب العروض والتقفية.

فنظام السجع في النثر إذن، له صلة كبيرة بنظام القوافي الشعرية، وقد دافع ابن الأثير عن السجع دفاعا مستميتا، وانحاز إليه كثيرا في كتاباته النثرية الإنشائية التي ملأ بها كتبه النقدية والبلاغية، ورسائله الديوانية والخاصة. وهذا رغم اعتراضات المعترضين الكثيرة على ظاهرة السجع؛ بسبب ما شابها من وهم وخلط، وخاصة عند من التبس عليهم الأمر، وخلطوا بين نهي الرسول الكريم لبعض صحابته عن استعمال (السجع النوعي) أي: (سجع الكهان) وبين (السجع الفني) كمصطلح بلاغي وظاهرة فنية صرفة.

أما سجع الكهان، فباعتباره نوعا نثريا قديما كان معروفا لدى العرب في نثرهم الجاهلي القديم. وكان مخصوصا بأهل الكهانة والعرافة ومحصورا في بيئتهم. وقد كان لخاصة الجاهليين وعامتهم، كما هو معروف، اعتقاد كبير في كلام الكهان المسجوع. وكانوا يخبرون به عن الغيبيات، تحت الطلب، ويدلسون بواسطته على الناس، فيما يشبه السحر والرموز المطلسمة.

أما السجع الفني، فباعتباره حلية بلاغية جمالية مطلوبة، وظاهرة فنية خالصة مرغوبة، ولا يمكن أن تمنع أو ينهى عنها أو تُحصر في زمان أو مكان.

وقد ذكر ابن الأثير شروطه " فالكلام المسجوع يحتاج إلى أربع شرائط: الأولى: اختيار مفردات الألفاظ ...

الثانية: اختيار التراكيب

الثالثة: أن يكون اللفظ في الكلام المسجوع تابعا للمعنى لا المعنى تابعا للفظ

الرابعة: أن تكون كل واحدة من الفقرتين دالة على معنى غير المعنى الذي دلت عليه أختها[121].

وأمثلة السجع التطبيقية أكثر من أن تعد أو تحصى، وهي حاضرة بقوة في القرآن الكريم، بمستويات مختلفة، وفي أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، وفي الخطب البليغة المحبرة، وفي الأمثال والأقوال المأثورة، وفي سائر النثر الإنشائي والتأليف، بحيث إننا لا نبالغ إذا قلنا: إن السجع الفني يمثل الميزة

الغالبة على الأساليب النثرية الرفيعة التي أشاعتها بلاغة الخطباء والمتحدثين الفصحاء، ورسختها أقلام كبار الكتاب والمنشئين.

ب – أما الجناس

ذهب النقاد والبلاغيون في تعريف التجنيس وتقسيمه مذاهب شتى، ووضع بعضهم فيه كتبا مستقلة؛ ككتاب خليل بن أيبك الصفدي المشهور(جنان الجناس)، وقد أتى فيه على ما يقارب الستين قسما.

ومن التعاريف المختزلة للجناس أن يتفقا لفظان في النطق ويختلفا في المعنى (وقد سبق الحديث عنه) والتجنيس في عرف البلاغيين اتحاد (شكلي) كلي أو جزئي بين لفظتين أو أكثر داخل سياق الكلام؛ إما من جهة خط الحروف، أو من جهة شكلها وحركتها، أو من جهة نقطها أو إهمالها، مع اختلاف (نوعي) في المعنى، كما في قوله تعالى: (ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة)، سورة الروم، الآية: 55. فمعنى (الساعة) الأولى يوم القيامة الموعود، ومعنى (الـ ساعة) الثانية: قدر الزمن الأرضي المعلوم.

ج . الموازنة

الموازنة هي " تساوي الفاصلتين في الوزن دون القافية " وهي في النثر غير الوزن في الشعر، وهي هنا أقرب ما تكون إلى مفهوم الميزان الصرفي الذي يدرس أصول اشتقاق الكلمات العربية، ويضبط أوزانها القياسية والسماعية عند تحويلها من صيغها المصدرية إلى صيغها الفعلية.

فالموازنة هي في النثر تعني توالي المفردات داخل الجمل والفواصل النثرية على نفس الميزان الصرفي، مما يتولد عنه تماثل في الحركات الإيقاعية وانتظام في المسافات الصوتية.

وقد دافع ابن الأثير أيضا عن خاصية الموازنة هذه وما شابهها، واعتبرها أساس الاعتدال في الكلام المنثور، إذ أنه بواسطة الموازنة تكون ألفاظ الفواصل في الكلام المنثور متساوية في الوزن، وللكلام بذلك طلاوة ورونق سببه الاعتدال، لأنه مطلوب في جميع الأشياء، وإذا كانت مقاطع الكلام معتدلة وقعت من النفس موقع الاستحسان[122]

والذي قصده ابن الأثير من الوزن هنا: الوزن الصرفي لا الوزن العروضي.

د . الازدواج: وهو بلاغيا يعني تجانس اللفظتين المتجاورتين نحو: من جَدَّ وَجَدَ ومن لَجَّ وَلَجَ "[123]

وقد يراد بالإزدواج أيضا إذا قسم الكلام إلى فقر متساوية ومتوازية في الطول أو القصر وبعبارة أخرى أوضح أن يكون عدد الكلمات في الجملة النثرية الأولى مماثلا للعدد الموجود في الجملة الثانية، أو لسائر الجمل المتتالية.

ولا ينبغي هنا أن تقصُر الفقرةُ أو الجملة النثرية الواحدة عن الأخرى كثيرا أو تطول عنها بقدر كبير، لكي يتحقق التناسب بصورة أكمل وأوضح، وليس هناك حد ثابت لطول الجمل النثرية، خاصة إذا تداخلت في الجملة الكبرى الرئيسية جمل صغرى ثانوية. أما حد قِصرها فثابت ومعلوم؛ فأقصر ما تكون العبارة النثرية أن تتركب من كلمتين اثنتين، ولا يمكن أن تكون أقل من ذلك.

وكلما كانت العبارات النثرية قصيرة كلما اتضحت عناصر التناسب أكثر للسمع والبصر، وكان وقعها عليهما أكبر. وكلما طالت العبارات النثرية تبددت وحدتها وتشوهت ملامحها وضعف تأثيرها، وأشبهت الحديث اليومي العادي الذي يخلو، في الغالب، من التناسب والتنسيق إلا ما جاء عفو الخاطر، وهنا ندخل في معيار بلاغي آخر وهو الإيجاز

ومما ينبغي الإشارة إليه أن وراء هذه التحديدات الأربعة البسيطة الرئيسية تفريعات تتعدد وتختلف باختلاف النقاد والبلاغيين في الزمان والمكان؛ فكثيرا ما مزج أصحاب البلاغة والبديع الأواخر بين تعريفهم لهذه العناصر البسيطة وتقسيمهم لها تقسيما جزئيا دقيقا، على عادتهم في تكثير المصطلحات النقدية والبلاغية وتوليد بعضها من بعض، وقد وصلوا أحيانا إلى عدد كبير جدا من هذه المحسنات وهي متقاربة الدلالة ويتفرع بعضها عن بعض.

ورغم أن هذه العناصر تتواجد بشكل كثيف في النثر الفني وبعض النقاد أراد أن يجعل منها خواص للنثر تميزه كفن يختلف عن الشعر، وتحقق بلاغته، إلا أننا نلاحظ أن هذه التحديد غير دقيق، ويظهر ذلك من جوانب منها: – أن النثر كلام ولا يميزه عن الشعر من حيث البلاغة والفصاحة والجمال شيء غير الوزن، وبالتالي يمكن للنثر أن تتحقق بلاغته بكل صور البلاغة وأشكالها،

وتتجسد فيه طرائق التعبير البديع وأساليبه وليس حكرا عليه بعض المحسنات البديعية التي هي أصلا موضع خلاف بين النقاد والبلاغيين في استحسان وجودها في الكلام، إذ يعده بعضه من مظاهر التكلف والتصنع.

الجانب الآخر أن هذه المحسنات ونظائرها موجودة في الشعر وإن كان بنسبة أقل، ومعنى ذلك أنها لا تشكل جوهر النثر ولا خصائصه التي يتفرد بها.

الجانب الثالث: هناك فنون من النثر وأشكال منه لا توجد فيها هذه المحسنات ومع ذلك تقع في درجة عالية من البلاغة والفصاحة، ثم إن كبار البلاغيين والنقاد من أمثال الجاحظ والجرجاني وغيرها لم يضعوا هذه المحسنات بوصفها خصائص مميزة للنثر ومحققة لبلاغته

---

[1] – ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، (د.ط)، القاهرة، مصر، (د.ت)، مادة (بلغ)، ص 346

[2] – الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، مكتبة الخانجي، ط7، 1998، القاهرة، مصر، ص 88

[3] – الخطيب القزويني، التلخيص في علوم البلاغة، تح: عبد الرحمن البرقوقي، دار الفكر العربي،ط1، 1904،مصر، ص 33

[4] – أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، المكتبة العصرية، ط1، 1999، مصر، ص 42

[5] – المرجع نفسه، ص 38

[6] – شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، ط1، (د.ت)، القاهرة، مصر، ص 11

[7] – المرجع نفسه، ص 13

[8] – المرجع نفسه، ص 14و15

[9] – المرجع نفسه، ص 14

[10] – الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص 295

[11] – المرجع نفسه، ج2، ص 137

[12] – شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، ص 20

[13] – القزويني، التلخيص، ص 37

[14] – أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص 46

[15] – القزويني، التلخيص في علوم البلاغة، ص 235

[16] – المرجع نفسه، ص 337

[17] – شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، ص 35

[18] – الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص 88

[19] – المرجع نفسه، ص 114

[20] – شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، ص 40

[21] – أبو هلال العسكري، الصناعتين، تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1951، ص 161

[22] – شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، ص 41

[23] – الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص 144

[24] شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، ص47 و 48

[25] – الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص 105

[26] – المرجع نفسه، ص 83

[27] – الشريف الجرجاني، التعريفات، تح: محمد علي أبو العباس، دار الطلائع، ط1، 2014، القاهرة، مصر، ص 189 و200

[28] – القزويني، التلخيص، ص 328 و 329

[29] – ينظر شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، ص 56

[30] – ينظر المرجع نفسه، ص 56

[31] – الأخفش، معاني القرآن،ج1، تح: هدى محمود قراعه، مكتبة الخانجي، ط1، 1999، القاهرة، مصر، ص 52

[32] – المرجع نفسه، ص 62

[33] – الجاحظ، الحيوان،ج5، تح: عبد السلام هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ط2، 1966،مصر، ص 23

[34] – المرجع نفسه، ص24

[35] – المرجع نفسه، ص 25

[36] – المرجع نفسه، ص 28

[37] – المرجع نفسه، ص 28

[38] – أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة ص 55

[39] – مصطفى المراغي، علوم البلاغة، ص46

[40] – القزويني، التلخيص في وجوه البلاغة، ص 41 و42

[41] – مصطفى المراغي، علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع، دار الكتب العلمية، ط3، 1993، بيروت، لبنان، ص49

[42] – القزويني، التلخيص، ص42

[43] / ينظر فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفنانها، دار الفرقان للنشر والتوزيع، ط4، 1997، الأردن ص 124 وما بعدها

[44] – ينظر البلاغة فنونها وأفنانها وجواهر البلاغة

[45] – القزويني، التلخيص، ص 151

[46] – مصطفى المراغي، علوم البلاغة، ص 61

[47] – ينظر محمد أحمد قاسم، علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني، محمد أحمد قاسم، محي الدين الخطيب، علوم البلاغة –البديع والبيان والمعاني– المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، 2003 ص 286، وغيره

[48] – ينظر المرجع نفسه، ص289 ، وغيره

[49] – ينظر فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفنانها وجواهر البلاغة ، ص 168

[50] – محمد أحمد قاسم، علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني، ص 293

[51] – المرجع نفسه، ص 300

[52] – المرجع نفسه، ص 306

[53] – المرجع نفسه، ص 303

[54] – عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، ط1، الجزائر،1991، ص 117

[55] – الجرجاني، دلائل الإعجاز، ، ص 117

[56] – المرجع نفسه، ص 117

[57] – المرجع نفسه، ص 118

[58] – سيبويه، الكتاب، ج1،ت: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط3، 1988 ص 34

[59] – الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 118

[60] – القزويني، التلخيص، ص 74

[61] – السكاكي، مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، ط2، 1987 بيروت، لبنان ص 194

[62] – الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص215

[63] / أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص 179

[64] / ابن منظور، لسان العرب، مادة (جوز)، ص 724

[65] – علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني، ص 185

[66] / المرجع نفسه، ص 185

[67] – على الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة، دار المعارف، ط17، 1964، مصر، ص 71

[68] – جواهر البلاغة لاحمد الهاشمي، علوم البلاغة لمصطفى المراغي، علوم البلاغة (البديع البيان المعاني) لمحمد أحمد قاسم

[69] – البلاغة الواضحة، ص 117

[70] – المرجع نفسه، ص 117

[71] – القزويني، التلخبص في علوم البلاغة، ص 238

[72] – مصطفى المراغي، علوم البلاغة، ص 213

[73] – أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص 219

[74] – المرجع نفسه، ص 256

[75] – الجرجاني، أسرار البلاغة، دار الجوزي، ط1، 2010، مصر، ص 22

[76] – محمد أحمد قاسم، محي الدين الخطيب، علوم البلاغة –البديع والبيان والمعاني- ، ص 241

[77] – أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص 287

[78] – القزويني، التلخيص في علوم البلاغة، ص 347

[79] – ابن مظور، لسان العرب، مادة (طبق)، 2636

[80] – مصطفى المراغي، علوم البلاغة، ص 320

[81] – السكاكي، مفتاح العلوم، تح: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، ط2، 1987، بيروت، لبنان، ص 429

[82] – محمد أحمد قاسم، علوم البلاغة، ص 114

[83] – أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص 330

[84] – ابن منظور، لسان العرب، مادة (سلب)، 2058

[85] – الفيومي، المصباح المنير، مادة (سلب) ، عن عبد القادر عبد الجليل ، دار صفاء، عمان، ط: 1، 2002، ص: 104.

[86] – الزمخشري، أساس البلاغة، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، دط، 1984، ص: 304.

[87] – أحمد الشايب، الأسلوب، مكتبة النهضة المصرية، ط10، 1998، القاهرة، مصر، ص 44 و45 و 46

[88] – ينظر: سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ، (د.ط)، (دت)، ص114.

[89] – ينظر: رجاء عيد، البحث الأسلوبي معاصرة وتراث، منشأة المعرف الإسكندرية، مصر، دط، دت، ص: 14

[90] – ينظر: صلاح فضل، علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط: 1، 1985، ص95 و 96.

[91] – ينظر المرجع نفسه، ص: 97

[92] – ينظر المرجع نفسه، ص: 96.

[93] – ينظر بيار جيرو، الأسلوبية والأسلوب، ترجمة: د.منذر عياشي، مركز الإنماء العربي، القاهرة، دط، دت، ص: 6.

[94] – ينظر يوسف أبو العدوس، البلاغة والأسلوبية مقدمات عامة، الأهلية للنشر والتوزيع، عمّان الأردن، ط1، 1999م، ص67

[95] – ينظر صلاح فضل، علم الأسلوب، ص 15 و16 و17

[96] – المرجع نفسه، ص 17

[97] – ينظر حسن ناظم، البنى الأسلوبية، المركز الثقافي العربي، ط2002،1، الدار البيضاء، المغرب، ص 34 و35 و36

[98] – المرجع نفسه، ص 43 وما بعدها

[99] – يوسف أبو العدوس، الأسلوبية الرؤية والتطبيق، دار المسيرة، ط1، 2007، عمان ، الأردن، ص146

[100] – حسن ناظم، البنى الأسلوبية ، ص 50 و51 و52

[101] – ابن فارس، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، طبعة اتحاد الكتّاب العرب، مادة (ش ع ر)، ج 3، (د. ط)، 2002، ص 209

[102] – ابن منظور، لسان العرب، مادة (ش ع ر)، ص 2273

[103] – الزمخشري أبو القاسم جار الله، أساس البلاغة، ج 01، منشورات دار الكتب العلمية، ، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط 1، ، 1998، بيروت، لبنان مادة (ش ع ر) ص 510

[104] – يوسف وغليسي، الشعريات والسرديات قراءة اصطلاحية في الحدود والمفاهيم، منشورات مخبر السرد جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2007، ص 9.

[105] – حسن ناظم، مفاهيم الشعرية، ص 5

[106] – المرجع نفسه، ص 16

[107] – المرجع نفسه، ص 9

[108] – تزفيطان تودوروف، الشعرية، ترجمة: شكري المبخوت ورجاء بن سلامة، ،دار توبقال للنشر، ، ط1، 1987، الدار البيضاء، المغرب، ص 2.

[109] – جاكوبسون رومان، قضايا الشعرية، تر:محمد الولي ومبارك حنون، دار توبقال، المغرب 1988،ص35.

[110] – حسن ناظم، مفاهيم الشعرية، ص 115

[111] – كمال أبو ديب، في الشعرية، مطبعة الأبحاث العربية ، (د ط)، (د ت)، بيروت، لبنان، ص14.

[112] – أدونيس، الشعرية العربية، دار الآداب، بيروت، ط 3، 2000، ص 30

[113] – ينظر حسن ناظم، مفاهيم الشعرية، ص 115 وما بعدها

[114] – أحمد ابن طباطبا ، عيار الشعر، تح: الدكتور محمد زغلول سلام، منشأة المعارف، الطبعة 3، 1984، الاسكندرية، مصر، ص 17

[115] – ينظر بغداد يوسف، الشعرية والنقد الأدبي عند العرب – رسالة دكتوراه، جامعة جيلالي اليابس- سيدي بلعباس، السنة 2018/2017، ص 101

[116] – ابن الأثير، المثل السائر، ج1، تح: أحمد الحوفي وبدوي طبانه، دارنهضة مصر، القاهرة، مصر، (د.ت)، ص 109

[117] – أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص 107

[118] – الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص 83

[119] – أبو حيان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، ج2، تح: أحمد امين وأحمد الزين، دار مكتبة الحياة، (د.ط)، (د. ت)، ص 145

[120] - المرجع نفسه، ص 141

[121] – ابن الأثير، المثل السائر، ج1، ص 215

[122] – المرجع نفسه، ص 277و 278

[123] – أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص 330

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

1- جمال الدين بن منظور، لسان العرب، دار المعارف، (د.ط)، (د.ت)، القاهرة، مصر

2- يوسف أبو العدوس، الأسلوبية الرؤية والتطبيق، دار المسيرة، ط1، 2007، عمان ، الأردن

3- // // ، البلاغة والأسلوبية مقدمات عامة، الأهلية للنشر والتوزيع، ط1، 1999، عمان، الأردن

4- أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، طبعة اتحاد الكتّاب العرب، ج 3، (د. ط)، 2002

5- ابن طباطبا ، عيار الشعر، تح: الدكتور محمد زغلول سلام، منشأة المعارف، الطبعة 3، 1984، الاسكندرية مصر
6- ضياء الدين بن الأثير، المثل السائر، ج1، تح: أحمد الحوفي وبدوي طبانه، دارنهضة مصر، (د.ت)، القاهرة، مصر
7- كمال أبو ديب، في الشعرية، مطبعة الأبحاث العربية ، (د ط)، (د ت)، بيروت، لبنان
8- أدونيس، الشعرية العربية، دار الآداب، ط 3، 2000، بيروت
9- تزفيطان تودوروف، الشعرية، ترجمة: شكري المبخوت ورجاء بن سلامة، ،دار توبقال للنشر، ط1، 1987، الدار البيضاء، المغرب
10- أبو حيان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، ج2، تح: أحمد امين وأحمد الزين، دار مكتبة الحياة، (د.ط)، (د. ت)
11- لجاحظ، البيان والتبيين، ج1، مكتبة الخانجي، ط7، 1998، القاهرة، مصر
12- // ، الحيوان،ج5، تح: عبد السلام هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ط2، 1966،مصر
13- على الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة، دار المعارف، ط17، 1964، مصر
14- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، ط1، 1991 الجزائر
15- // // ، أسرار البلاغة، دار الجوزي، ط1، 2010، مصر
16- الشريف الجرجاني، التعريفات، تح: محمد علي أبو العباس، دار الطلائع، ط1، 2014، القاهرة، مصر
17- بيار جيرو، الأسلوبية والأسلوب، ترجمة: د.منذر عياشي، مركز الإنماء العربي، (د.ط)، (د.ت)، القاهرة، مصر
18- جاكوبسون رومان، قضايا الشعرية، تر:محمد الولي ومبارك حنون، دار توبقال، المغرب 1988
19- الأخفش، معاني القرآن،ج1، تح: هدى محمود قراعه، مكتبة الخانجي، ط1، 1999، القاهرة، مصر
20- جار الله الزمخشري، أساس البلاغة، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، دط، 1984
21- السكاكي، مفتاح العلوم، تح: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، ط2، 1987، بيروت، لبنان
22- سيبويه، الكتاب، ج1،ت: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط3، 1988
23- أحمد الشايب، الأسلوب، مكتبة النهضة المصرية، ط10، 1998، القاهرة، مصر
24- شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، ط1، (د.ت)، القاهرة، مصر
25- فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفنانها، دار الفرقان للنشر والتوزيع، ط4، 1997، الأردن
26- أبو هلال العسكري، الصناعتين، تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1951

27- سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية، دار الكتاب اللبناني، (د.ط)، (دت)، بيروت، لبنان
28- رجاء عيد، البحث الأسلوبي معاصرة وتراث، منشأة المعرف، دط، دت، الاسكندرية، مصر
29- صلاح فضل، علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، منشورات دار الآفاق الجديدة، ط 1، 1985، بيروت، لبنان
30- أحمد الفيومي، المصباح المنير، مادة (سلب) ، عن عبد القادر عبد الجليل ، دار صفاء، ط 1، عمان، الأردن، 2002
31- محمد أحمد قاسم، علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني، محمد أحمد قاسم، محي الدين الخطيب، علوم البلاغة – البديع والبيان والمعاني- المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان
32- الخطيب القزويني، التلخيص في علوم البلاغة، تح: عبد الرحمن البرقوقي، دار الفكر العربي،ط1، 190،مصر
33- مصطفى المراغي، علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع، دار الكتب العلمية، ط3، 1993، بيروت، لبنان
34- حسن ناظم، البنى الأسلوبية، المركز الثقافي العربي، ط1،2002، الدار البيضاء، المغرب
35- أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، المكتبة العصرية، ط1، 1999، مصر
36- يوسف وغليسي، الشعريات والسرديات قراءة اصطلاحية في الحدود والمفاهيم، منشورات مخبر السرد جامعة منتوري، 2007، قسنطينة، الجزائر
37- بغداد يوسف، الشعرية والنقد الأدبي عند العرب – رسالة دكتوراه، جامعة جيلالي اليابس- سيدي بلعباس، السنة 2018/2017

الفهرس

الموضوع الصفحة

- المقدمة .....
- الدرس الأول
علم البلاغة (مفهومه ونشأته وتطوره وفروعه) آراء أهل المشرق والمغرب 05- 14
- الدرس الثاني
أثر الفرق الكلامية في تأصيل البلاغة (المجاز عند المعتزلة نموذجا) 15- 22
- الدرس الثالث
الأسلوب الخبري و أضربه 23- 30
- الدرس الرابع
الأسلوب الإنشائي و أنواعه 31- 41
- الدرس الخامس
التقديم و التأخير ، الفصل والوصل 42- 53
- الدرس السادس
الحقيقة والمجاز، أنواع المجاز 54- 65
- الدرس السابع
التشبيه وأنواعه 66- 71
- الدرس الثامن
الاستعارة، الكناية 72- 79
- الدرس التاسع
المطابقة، المقابلة 80- 84
- الدرس العاشر
الجناس 84- 86
- الدرس الحادي عشر
السجع 87- 89

- الدرس الثاني عشر
البلاغة والأسلوبية 90- 97
- الدرس الثالث
البلاغة والشعرية 97- 105
- الدرس الرابع عشر
بلاغة الخطاب النثري 105- 112
- قائمة المصادر والمراجع 117- 118
- الفهرس 119- 120

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الحاج لخضر باتنة-1-

كلية اللغة والأدب العربي والفنون

محضر اجتماع المجلس العلمي للكلية

كلية

كلية اللغة والأدب العربي

بيانات الدورة

رقم الدورة	تاريخ الدورة	طبيعة الدورة	
		عادية	استثنائية
02	2022/06/16	☒	☐

الحاضرون لأعمال دورة المجلس العلمي للكلية:

1-أعضاء المجلس العلمي للكلية

الرقم	الاسم واللقب	الصفة	الامضاء
1	معمر حجيج	رئيسا	
2	لخضر بلخير	عضوا	
3	محمد زرمان	عضوا	
4	أحمد جاب الله	عضوا	
5	عبد العزيز فيضالي	عضوا	
6	جمال سعادنة	عضوا	
7	صالح بايو	عضوا	
8	طارق ثابت	عضوا	

9	سهام وناسي	عضوا	
10	النواري بالة	عضوا	
11	عماد زروالي	عضوا	
12	الطيب بودربالة	عضوا	
13			

2- أعضاء المجلس العلمي مية المتغيبون عن أعمال الدورة [1]

الرقم	الاسم واللقب	الصفة
1	لبوخ بوجملين/	رئيس اللجنة لقسم اللغة والادب العربي/
2	/شراف شناف	/ممثل أساتذة لقسم اللغة والادب العربي
3	/	/
4	/	/
.....	/	/

2

II - جدول أعمال دورة المجلس العلمي للكلية

جدول الأعمال:

أولا: تشكيل لجان مناقشة دكتوراه (علوم، ل.م.د)

ثانيا: تعديلات على عناوين أطروحات الدكتوراه

ثالثا: تنازلات عن الاشراف أو تغييره

رابعا: المطبوعات البيداغوجية

خامسا: متفرقات

[1] وفقا للقرار رقم.....المؤرخ في / /2019الذي يحدد القائمة الاسمية لأعضاء المجلس العلمي للكلية.

2

ثالثا: تنازلات عن الإشراف أو تغييره

- وافق المجلس العلمي على طلب التنازل عن الإشراف الذي تقدم به الأستاذ: **أ.د/** عبد القادر دامخي على الطالب: **لحسن عزوز** في أطروحته الموسومة بـ: **اللغة الثانية وإنتاج الدلالة في شعر أمل دنقل –دراسة سيميائية جمالية– تخصص: نقد أدبي،** وتم تحويل الاشراف إلى الأستاذ: متقدم الجابري بناء على طلب المعني وموافقة المشرف البديل إلى **الأستاذ: المتقدم الجابري.**

رابعا: المطبوعات البيداغوجية

1. وافق المجلس العلمي، على اعتماد المطبوعات الجامعية الأتية بناء على الخبرات الإيجابية الواردة إلى اللجنة العلمية:

1–صالح مرحباوي: محاضرات في مقياس البلاغة **العربية** مقدمة لطلبة السنة الأولى جذع مشترك (ل.م.د).

2– توفيق بن خميس: محاضرات في مقياس: المدارس **اللسانية** مقدمة لطلبة السنة الثانية ليسانس (ل.م.د) فرع دراسات لغوية، تخصص: **لسانيات تطبيقية.**

3–محمد يزيد سالم: محاضرات في مقياس: علم **الصرف،** موجهة لطلبة السنة الثانية ليسانس (لغة).

4–ربيع بن مخلوف: محاضرات في مقياس: **فقه اللغة** مقدمة لطلبة السنة الأولى (ل.م.د) جذع مشترك.

5–نجاة غقالي: محاضرات في مقياس **فنيات التعبير** الشفوي مطبوعة موجهة لطلبة السنة الأولى ليسانس بنظام (ل.م.د).

6–سليمة مسعودي: محاضرات في مقياس **النقد الثقافي** موجهة لطلبة السنة الثانية ماستر.

وحيث أن الطالبة: **سمية كعواش** درس ملفها في اللجنة العلمية بتاريخ **10مارس2022** وبناء عليها استصدرت لها رخصة توزيع مستندة إلى الوعد بالنشر المذكور.

ولأجل تجنب أي خلل وانسداد في مسار استصدار رخصة مناقشة لاحقا. فإن اللجنة العلمية تقدم هذا التقرير لتسوية وضعية **الطالبة سمية كعواش** فيما يأتي من مراحل.

ويفيد هذا التقرير أن اللجنة العلمية توافق على اعتماد المقال المنشور بمعلومات نشره كما هي على المجلة الورقية والرابط الإلكتروني.

وبناء على ما ورد في محضر اللجنة العلمية للقسم فإن المجلس العلمي للكلية يوافق على تسوية وضعية الطالبة المذكورة

باتنة في 06/06/2022

رئيس المجلس العلمي للكلية

أ.د/ معمر جبلح